184

الأبحاث والدراسات

بلاد نجران

(لغة، وأدب،

وصور من التراث) (*)

د. حمدون كباشي حمدان

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السابع عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ١٢٩ - ١٧٣ . (الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ١٣٢ - ١٧٦ .

لا وجـدت ..... [١] المطايا عشية ... بنا وهـي أدنـى ما تسير بنا وجدا
تـؤم بنـا البيـت الحـرام كأنها ... قسـيٌ تـرامـى في أرمـتـها حـردا
فشـوقـها بـرق الحـجـاز إذا بدا ... فبدى شجاها وهـو أهـون ما أبدى
ولمـا نـزلـنـا الـغـور غـور تـهـامـة ... ذكرنا الصعيد الطيب الأحصر والأندا
ورقـراق أمـواه عـذاب فصعدة ... كـأن فليت المسك من فوقها مسدا
رق إليـها الشـوقَ من كُـلِّ جانب ... وجـد بـنـا المسـير إلـيـها جـدًّا
لـكـنـنـا نـرجـوه مـن الله عفوه ... ونطلبه فضلاً ونطلبه رشدا
نطلب من ألطافه البر والهدى ... ولا يهتدي من ليس من ربِّه يُهدى
بـلاد تحـاكـى جنـة الخلد حسنها ... وتحسبها من حسن بهجتها الخلدا

رابعاً: بلاد نجران (لغة ، وأدب ، وصور من التراث). بقلم الدكتور حمدون كباشي حمدان [٢].

م	الموضوع	الصفحة
١.	المقدمة	١٢٩
٢.	المحور الصوتي ، والصرفي ، والتركيبي	١٣١
٣.	نماذج من الشعر النبطي ، وصور من الفن الغنائي	١٤٥
٤.	أنماط تراثية (الآنية ، والأوعية ، والأدوات ، ووسم النعم والدواب وأنواعه).	١٦١
٥.	بعض النتائج والتوصيات	١٧٠
٦.	المصادر والمراجع	١٧١

١. المقدمة:

إن اللغة هـي وسيلة الاتصال الفعّالة لنقل خـبرات البشر وتجاربهم عبر الأجيال، بـل هي القـدرة الكامنة في نفس الإنسـان لتمكنه من التواصل مع أفـراد مجتمعه. وقد

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) الدكتور حمدون كباشي سوداني الجنسية ، نال تعليمه المبكر والجامعي في السودان ، وحصل على درجة الدكتوراه مـن جامعة كردفان عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) . عمل مترجماً للغتين العربية والإنجليزية بقسم العلاقات الخارجية في بنـك الادخـار السوداني . حصل على العديد مـن الدورات ، وهو عضو في بعض الجمعيـات العلمية والثقافية ، ولـه العديـد من المقالات المنشورة في بعض الجرائـد والمجلات السعودية ، له العديد مـن المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعـة ، مثـل: (١) مجموعة قصص قصيرة بعنـوان (أم شوايل) . (٢) البناء اللغـوي للهجة العامية لقبيلة الحمر في بادية غرب السودان . (٣) أثر لهجات الجزيرة العربية في اللغة العامية لقبيلة المسيرية . (٤) نجران (اللغة والأدب وقبس من التراث). (٥) القيم الإنسانية . والنسيج اللغوي في سورة يوسف . (ابن جريس) .

بـرع اللغـوي[١] أبو الفتح ابن جني في طرح مفهوم شامـل للغة بشكلها المنطوق والمكتوب إذ يقـول: "اللغـة هي أصوات يعـبر بها كل قوم عن أغراضهـم". وهذا يدحض المفهوم الخاطـئ ـ في نظـري ـ بأن اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة. ومِـنْ ثَم وردت كلمة "لغة" بمعنـي لهجـة خاصة لقبيلة عربيـة أو بيئة عربيـة في مؤلفات بعض السلـف من علماء العربية، ومن هؤلاء سيبويه[٢] إذ يقول في شروحه: لغة هذيل ولغة العالية. ولكن الثابت أنّ هـذه اللغات مهما تباينت زمانـاً ومكاناً هي أضابير معجميـة وأوعية منزعة بفيض الفصحى. وإذا نكشنا خباياها ونبشنا أغوارها لعثرنا علي الكنوز واللآلئ . وأنا في رأيي أن اللهجـات العربيـة على اختلافهـا قديماً وحديثاً تُعد من ذخائـر التراث التي يتحتم علينـا توثيقها لما تواجهه من تحديـات خطيرة تتمثل في مظاهر العولمـة اللغوية وأمواج الزحف الحضاري التي شرعت في درس معالم البداوة والحياة الريفية. وذلك لأن اللغة كائـن حي يتجدد على مر الزمـن في حلل تتباين أشكالها وألوانهـا وفقاً لقوانين ترتبط بظـروف التغيرُ. ومصداق قولي هذا ما ورد في تقرير علماء اللسانيات بأنّ لغات العالم تُقـدر بسـت آلاف لغة أضحت تتضـاءل بسبب عوامل العولمة والمـدّ الحضاري وتنقرض سنويـاً بمعدل ثلاثمائة لغة فحريٌّ بنا أن نوثّق تراثنـا بشتى أنواعه وكذلك لهجاتنا لأن كل ذلك مرآة لماضينا التليد[٣].

ويهـدف هذا البحث للاستفـادة من الإمكانات المتاحة لدراسـة اللهجة العامية في منطقـة نجـران وسبْرما تتميـز به من خواص صوتية وصرفية ونحويـة والاطلاع على نماذج من الأدب، إضافة إلى تناول بعض الملامح التراثية. ورفد المكتبة العربية بحصيلة مـن لهجة قبيلة يام، إضافـة إلى توثيق بعض أنواع التراث وتبيـان مظاهر هذه اللهجة بقدر المستطاع، وتحفيـز الباحثين لاقتفاء هذا النهج وإيلاء دراسة اللهجات مزيداً من الاهتمام واتباع أسدّ الوسائل في إيضاح كل آصرة لها بالفصحى.

ونجران مهد حضارة عريـق يزخر بتراث حضاريّ ولغويّ وافر ممّا يعطي الباحث مجـالا للاستقصاء والتحليل والمقارنة بين الظواهر اللغوية المتباينة وإجراء الملاحظات فيهـا. ونحـن في مسيس الحاجة للتنقيب في تـراث المشافهة لأهل الوبـر والهجر وذلك لنـدرة الدراسـات في هـذا المجال وعزوف الباحثـين عنه. وما أدرجـه النحاة لا يتعدى نمـاذج من لغـة بلحارث بن كعـب للاستدلال بهـا في الاختلافات النحويـة . بالإضافة إلى ذلـك فإنّ البعض لا يأبه بهذه اللهجات اعتقـاداً منهم بأنها رديئة أو تقادم عهدها

(١) الخصائص – ابن جني ٣٣/١ – دار الكتب المصرية – القاهرة.

(٢) الكتاب- سيبويه ٢٢/١- ت عبد السلام هارون .

(٣) أشكـرك يا دكتور حمدون على هـذا النداء والتوصية ، والواجب علينا معاشر الباحثـين وعلى أقسامنا العلمية أن تعمل جاهدة على حفظ موروثنا اللغوي الذي هو جزء من عروبتنا وأصالتنا . (ابن جريس) .

وأصابها البلى وقد أغفلوا انبثاقها وتشعبها من الفصحى.

ويقتصر هذا البحث على دراسة لهجة قبيلة يام في بلدة نجران وأريافها وبواديها في العصر الحديث. وسوف يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن. أمّا الوصف فلأنه منهج أولي لعرض المادة والغوص في أغوارها واستجلاء فحواها. أمّا التحليل فأهميته في بيان الملاحظات اللغوية فضلاً عن عقد أوجه التقابل بما يماثلها من الفصحى. ومن الدراسات السابقة عن بلاد نجران كتاب: هذه بلادنا: تأليف صالح بن محمد بن جابر آل مريح. وهي دراسة تاريخية جغرافية اجتهد المؤلف في صياغتها وتصنيفها. وكتاب نجران: تأليف: أ.د. غيثان بن علي بن جريس. وهي دراسة تاريخية حضارية مفصلة. وكتاب : حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام: تأليف فايزة عزيز رداد العتيبي. وهي دراسة أدبية تحليلية ضافية. والدراسة تدور في ثلاثة محاور رئيسية هي: (١) المحور الصوتي والصرفي والتركيبي. (٢) نماذج من الشعر النبطي وضروب من الفن الغنائيّ . (٣) أنماط تراثية: الآنية والأوعية والأدوات ووسم النَّعم والدواب وأنواعه . (٤) بعض النتائج والتوصيات ، ومصادر ومراجع البحث . [٤]

٢. المحور الصوتيّ والصرفيّ والتركيبي:

أود أنْ أوضح في مستهل هذا المبحث، بأن قول بعض اللغويين[٥] "بلحارث" لبني الحارث من سكان منطقة نجران، يُعد من شواذ التخفيف، لأن النون واللام متقاربان في المخرج، فلمَّا لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام، نطقوه على النحو المذكور آنفاً. وجرى نطقهم هذا على القبائل التي تظهر فيها لام المعرفة فيُقال في بني العنبر "بلعنبر" .
ولهجة منطقة نجران لا يشيع فيها النبر - أي الهمز - إلا في أحوال قليلة فيقولون: قريت، مليت، صليت، فديت، ونظائرها في الفصحى: قرأت، ملأت، توضأت، أخذت، والنهج عينه يجرى على ألسنتهم في الهمزة الوسيطة في الأسماء . فينطقون كثيراً من الأسماء بالتسهيل مثل: راس، بير، ذيب خلافاً للأصل، فنلاحظ أنهم يسقطون الهمزة "التي هي جزء من مقطع مغلق" في بادئة الصفات الدالة على الألوان مع تحريك الصوتين اللذين بعدها بالفتح مثل: حمر، خضر، ومَّما يماثل هذا النطق اسم لموقع بين بلدة نجران وظهران الجنوب يسمى "هجرة الحاجب الحمر" وأصل الصفتين الأحمر

---

(٤) أشكرك يا دكتور حمدون على طرح هذا الموضوع. وأقول إن بلاد نجران غنية في تاريخها وحضارتها وموروثها التراثي عبر عصور التاريخ . وآمل من جامعة نجران أن تستشعر هذه الأهمية وتفتح تخصصات علمية وتؤسس مراكز متخصصة تعكف على دراسة هذه البلاد في شتى الجوانب . كما أن الباحثين وبخاصة طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا العربية ، عليهم أيضاً مسؤولية كبرى فيدرسوا بلدان وحواضر شبه الجزيرة العربية ومنطقة نجران تأتي في مقدمة هذه الأوطان الجديرة بالبحث والتوثيق. (ابن جريس) .

(٥) معجم القبائل العربية، عمر رضا كحالة، ج٢، ص٥٨٣. بيروت ط ١٩٦٨م. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية – د. محمد سالم محيسن، ص١٤٢، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦م.

والأخضـر، أمـا بقية الصفات فتبقـى على حالها دون حـذف مثل أبيض، أصفر ونهج الحـذف المذكور يطبقونه مطلقاً على الصفات التي تبدأ بحروف الحلق مثل: عرج وعور أي أعـرج وأعور وكذلك بعض جموع التكسير مثل الخَوال في الأخـوال مع تفخيم الخاء في أول الكلمـة[١] وهذه الظاهرة النطقية سائدة لدى بدو صحراء سيناء. ونستشف مما سبق أن ظاهرة حذف الهمزة من أصوات الحلق صارت مألوفة لدى قبائل يام وكثير من قبائل جنوب المملكة العربية السعودية وهذا الحذف مستساغ صوتياً وقد بسط فيه القول اللغوي البارع ابن جني في كتابه[٢] "سر صناعة الإعراب" واستحسنه. وهذا النهج كثيراً ما يرد في ألسنة العرب تخفيفاً فيقال ساس وخدود ونموذج في أساس وأخدود وأنموذج.

ويقولـون في المثل استخفافـاً بمَنْ لا يحذق العمل أو بـدر منه تصرف غير محمود: إلطول طول نخلة والعقل عقل صُخْلة. والشاهد هي "صخَلة" والسخلة شاة المعيز فقلبت السين صاداً. وظاهرة التفخيم هذه لها نظائر عديدة في لهجات العرب فقد رُوى عن[٣] بنـى العنـبر من تميم أنهـم كان ينطقون كلمة "الساق" بقلب السـين "صاداً" ومن لغة تميـم أيضا ممَّـا ورد في لسان العرب قولهم "صماخ" في "سماخ" أي خرق الأذن الذي يفضـى إلى الرأس. والتفسير الصوتي لظاهرة تفخيم السـين بقلبها صاداً "إذا وقعت بعد حروف الاستعلاء: الطاء والقاف والغين والخاء"، أن مؤخر اللسان ينحو معها صوب الاستعـلاء تحت قانون المماثلة[٤] المعروف. إذ يتأثر أحد الصوتين المتجاورين المختلفين في الصفة بما يجاوره تأثيرا يؤدي إلى الانسجام الصوتي بينهما، وحينئذ تُضخّم السين وتنقلـب إلى نظيرهـا المطبق وهو الصاد. وذلك لأن كليهما مـن مخرج واحد وصفة كلٌ منهمـا: صـوت صفيري رخو مهموس. وتبدل قبيلة يـام الفاء في كلمة "فم" ثاءً، فيقال "ثـم"[٥]. وإذا أمعنـا النظر في صوت الفاء فهو شفوي أسنـاني رخو مهموس ينطق بأن تتصـل الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصـالاً يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بهما مـع ارتفاع الطبق لسد التجويـف الأنفي. أما الصوت البديل "الثـا" فهو لثوى أسناني رخـو مهموس مرقق ينطق بوضع طرف اللسان بـين أطراف الثنايا فيتشكل منفذ ضيق للهواء ويستوي جسم اللسان ليسد المجري الأنفي بالتصاقه بالحائط الخلفي للحلق.

ومن خلال البسط السابق والمقارنة نستنبط المبرر الصوتي لهذا النوع من الإبدال. والجديـر بالذكـر أنَّ هذا الضرب من التبادل الصوتي بـين الحرفين المذكورين قد ورد

(١) لهجة البدو في الساحل الشمالي ٧٩- د. عبد العزيز مطر - القاهرة.
(٢) سر صناعة الإعراب – ابن جني ١/٧٥ القاهرة – ط ١٩٥٤م.
(٣) اللهجات العربية في التراث – أحمد علم الدين الجندي ٢/٤٤٦-٤٤٧.
(٤) البنية الصوتية للصرف العربي – د. عبد الصبور شاهين- ص١٦٩- مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م- بيروت.
(٥) اللهجات العربية في التراث ٢/٤١٩.

في القـران الكريم في سورة البقـرة[١] ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴾ . والشاهـد هنا انقلاب الثاء إلي فاء يبرر النطق الذي يدور على ألسنـة قُطان وادي نجران وذلك لتماثل هذين الصوتين في الهمس والرخاوة والترقيق. ولربمـا كانت هذه التأدية أيسر لديهم وفقاً لنظرية "السهولة والاقتصادية" التي يُراعى فيهـا الحدُ الأدنى مـن الجهد العضلي والتي رصدها المحدثـون في التطور الصوتي الذي ينشـأ مـن تجاور صوتـين في السياق[٢] وانتقـال أحدهما إلى مخرج الآخـر وورد في كلام العـرب هذا النوع من الإبدال فقالوا: جَدث وجدف للقبر وأثافي[٣] ، وأثافي للحجارة التي يُوضـع عليها المرجـل. قال الفراء سمعت بعض العرب يقـول[٤]: ثم في فم .وهنالك صفة لهجيـة شاعت لـدي قبائل أسد وبكر ومُضـر وربيعة عُرفـت بالكشكشة[٥] وهي قلب كاف المؤنثـة عند الخطـاب شيناً في حالة الوقـف. وأردف البعض أن هـذه الشين لا تحل محل كاف المؤنثة، وإنما تلحق بها. ومثال لذلك قولهم: منش لغة في منك وعليش لغةً في عليك. وحكـي أن أعرابية نبّهتْ جارتها قائلة: ارجعـي وراءش فإنّ مولاش يناديش. وهذا النمط مـن التخاطب مازال سارياً في جنـوب الحجاز ولاسيما عسير ونجـران ومناطق متفرقة مـن بلاد اليمن. ومـن العبارات التي التقطتها أذني خلال تجـوالي لاستقصاء المعلومات في سـوق الحريم بنجـران ما قالته بائعة لإحـدى صاحباتها : كيف حَالش يـا زينة. وقرأ بعضهم: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾[٦] والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة أنّ الكاف سبقت بصوت لين ـ الكسرة وهي تجذب الكاف إلى الإمام فتخرج من وسط اللسان الحنك بدلاً من الخروج إلي أقصاه ومخرج وسط الحنك هو مخرج الجيم والشين ـ أي الحروف الغارية. وبهذا تندرج هذه الظاهرة تحت قانون الأصوات الحنكية.

ومما احتفظت به لهجة يام لفظ "ثنتان" بحذف همزة الوصل، وهي ملحقة بالمثني في إعرابـه، بيد أنها تنطق لديهم "ثنتين" رفعـاً ونصباً وجراً وجارت بذلك قبيلة تميم التـي تميـل إلى السهولة والسرعة في الأداء النطقي لأنهـا تعيش في بيئة بدوية محضة . تتسم بخفة الحركة والانتقال، لهذا آثرت الحذف خلافاً للهجة الحجاز الحضرية التي تحقـق الهمز نطقاً بتمام وكمال. وكثيراً ما يستعمـل النجراني عبارة "سرينا" بمعنى

(١) سورة البقرة الآية ٦١.
(٢) اللهجات العربية في التراث ٤١٩/٢.
(٣) اللهجات العربية في التراث ٤١٩/١.
(٤) الأمالي لأبي علي القالي ٣٤/٢.
(٥) في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس ١٢١-١٢٥ المكتبة الانجلو المصرية القاهرة – ط٥ ١٩٩٢م.
(٦) سورة مريم الآية ٢٤. معجم القراءات – د عبد اللطيف الخطيب ٣٥٤/٥ دار سعد الدين ، دمشق ، (٢٠٠٢م) .

أدلجنا أي سرنا ليلاً. بل المعنى لديهم أيضا يعني السير والانطلاق من غير تحديد لوقت فقد ورد[١] في لسان العرب أنّ أصل الكلمة أسرى وفقاً للغة الحجاز. وقد زيدت فيها الهمزة، ونلاحظ أن زيادة المبني تندرج في طياتها تقوية المعنى. أما سرى بحذف الهمز لغة غيرهم. وقرئ باللهجتين في القرآن الكريم في قوله تعالى (والليل إذا يسر)[٢] فهو من سرى ولو كان من أسرى لكان يسري. وقد أشار إلى ذلك صاحب خزانة الأدب عندما قارن بين الصيغتين "وفي الكيل أوفاه" فزنة أفعل أبلغ وأرق في التعبير من فعل.

ومن الصفات الصوتية السائدة لدي قبيلة يام، الميل إلى حروف الإطباق والجهر بقصد رفع درجة الإسماع . فقد سمعت من بعض عشرائي خلطا في النطق بين لفظي "بقَى" و "بَقي"[٣] وقد ورد في كلام العرب: محا، يمحو ويمحِي ويمحَا واستخدام صيغة الانسجام الصوتي هذه لهجتْ بها ألسن قبائل بدوية قديماً منها تميم وأسد وقيس عيلان. ولاحظت أنهم يثبتون واو الفعل المثال المعتل بالواو مثل وعد ووصل فيقولون يوعد ويوصل خلافاً للنطق الفصيح بحذف الواو والذي يخلصنا من ثنائية الحركة فتكون الكلمة ميسورة النطق . وينطقون بعض الأسماء بما يشبه تلتلة بهراء في كسرها للمضارع مثل: "تِعلمون" فيقول النجراني مثلاً: علي صديق إخي وإبي، وأنا اتفق مع[٤] الأستاذ آل معيوف فيما ساقه من تعليل لذلك بأنّ هذا النهج النطقي يحمل في ثناياه سمائية التواضع إذ سرعان ما تعود هذه الكلمات إلي أصولها الصرفية والتركيبية في العبارة إذا استدعى الموقف فخراً فيقول ذلك النجراني مثلاً: "أنا أخو الجيران في السراء والضراء" ويقولون: وِجع بالكسر كأنهم يجارون[٥] بني تميم في جعل مضارعه "ييجع لأن الواو الساكنة إذا انكسر ما قبلها صارت ياء.

ويميل أعراب بادية نجران إلي نطق الإشارات[٦] مصغرة للمفرد المذكر والمفردة المؤنثة فيقال "ذيا" عوضاً عن ذا و "تيا" عوضاً عن "تي" وتنطق بصوت مفخم ممدود قوي النبر. وذلك في نظري طابع معهود لدى البداة لزيادة الإسماع لأقصي درجة في تلك البقاع المترامية. وينطقون[٧] أمر الفعل الثلاثي "أدعُ" من دعا بكسر إذ يقولون "ادعِي" – وهذه لغة بني عامر قديماً إذ جعلتها من ذوات الياء "دعا – يدعي" ولاحظت

(١) لسان العرب- ابن منظور مادة سرى ٢٨١/١٤.
(٢) سورة الفجر الآية ٤.
(٣) اللهجات العربية في التراث ٥٧٣/٢.
(٤) الأستاذ ناجي مهدي آل معيوف – مدير قناة الوادي.
(٥) اللهجات العربية في التراث ٥٧٧/٢.
(٦) نقاش مع الأستاذ ناجي آل معيوف.
(٧) اللهجات العربية في التراث ٥٧٥/٢.

عزوفهم عن حذف اللام والألف مِنْ "على حرف الجر" إذا وليها ساكن مثلما كان ينطقها بنو الحارث الأولون إذ يقولون مثلاً ركبت علفرس أي على الفرس. وبينما كنت أتجول قبيل الأصيل بين معارض السيارات سمعت مشادة عبر مكبر الصوت وأحدهم يتشدّق بصوت عالٍ "لا نقبل تحسف" مكرراً هذه العبارة فاستفسرت عن فحوى ما قاله فأدركت انه لاً يقبل التراجع في البيع من الشاري. ولكن حسف في اللغة[١] تعني قشر كقولنا حسف التمر أزال قشرته، وحسافة التمر: بقية قشوره وأقماعه[٢] وكسره وما تناثر من الفاسد منه وتحسف جلد الحية: تقشر، وتقول العرب أيضا تحسفَ[٣] وبر البعير إذا تمعط. ومما سبق نستنبط أن استخدام صاحب المعرض يدخل في الكناية.

والصيص لديهم التمر إذا لبن يأكله الحيوان ولا يأكله الإنسان. قال[٤] الأموي هي لغة بلحرث بن كعب. وأصلها في اللغة عامة شيص. شاص ويشوص الولد في بطن أمه إذا ارتكض. والشيص والشيصاء ردئ التمر قال[٥] الأصمعي: صَأصَأت النخلة إذا أخرجت شيصاً وأهل المدينة يسمون الشيص السخل. ومعلوم لدينا أن الجوشن[٦] في اللغة هو الدرع ومن معانيه الصدر بصفة عامة وهذا المعنى شائع في منطقة نجران، وكذلك يطلق على موقع لمنجم ذهب شمال بلدة نجران. وسمعتهم يطلقون لفظ الجرف على ذرا الجبال الوعرة والمعني في اللغة[٧]: عرض الجبل الأملس وتعني أيضا ما جرفته السيول. وسمعت من بعض بداة نجران كلمة الرّعام بمعني المخاط وذلك من فصيح كلام العرب[٨] إذ تعني مخاط الخيل والشاء والإبل، وجمعه أرعِمه ويقال رَعمتْ رعاماً. وفي الحديث[٩] "صلوا في مراح الغنم وامسحوا رعامها". أي مَا يسيل من أنوفها. ومن سداد[١٠] القول تخصيصهم "النخامة" لما يسيل من خيشوم البشر من نخم نخماً وتنخم وسمعت من أشار إلى الفرش بقوله لابنه "اطرح البجاد" وفي اللغة جمعه "بجد" والبجاد[١١] كساء مخطط من أكسية الأعراب ومنه لقب "ذو البجادين" وهو دليل

(١) لسان العرب ٤٦/٩ مادة "حسف".
(٢) المرجع السابق ٤٦/٩.
(٣) المرجع السابق ٤٦/٩.
(٤) في اللهجات العربية- إبراهيم أنيس ٢٤٧.
(٥) لسان العرب ٥١/٧ "شيص".
(٦) القاموس المحيط ١٥٣١ مادة جرف – مؤسسة دار الرسالة – ط٢- بيروت ١٩٨٧م.
(٧) المرجع السابق ١٥٣١ (جرف).
(٨) تاج العروس ٣١٤/٨ (رعم).
(٩) المرجع السابق ٣١٤/٨ (رعم).
(١٠) المرجع السابق ٧٣/٩ (نخم).
(١١) لسان العرب ٧٧/٣ (بجد).

النبـي - ﷺ - وهو عنبسـة بن نهيم. وقيل أنه لقب بهذا لأنـه يلبس كساءين في سفره أمّـا أروق[١] وروقاء نعتان في تلك اللهجة لمن يظهر له ميلان بيّن في سواد العين ولاسيما عندمـا يُسلّـط الضوء عليهما. ولكـن هذا الاستعمـال لم يرد صريحـا في كلام العرب ولكـن ربما صاغه النجرانيّ مستمداً المعني من قولهم[٢] روّق الليل إذا امتدّ على أرجاء البسيطة ومال على الآفاق باسطاً ظلامه الحالك.

والجدير بالذكر أنّ الروق هو أول كل شيء ورَوْق الرجل باكورة شبابه. والروق القرن كقـرن الثور وتعني الداهية، وأيضا تعني الصـف كأرواق السحب. وعبر هؤلاء القوم[٣] عن طول وارتخاء الأذنين بقولهم: تيس أهطل وعنز هطلاء، على زنة أفعل وفعلاء وبعد بحـث لم أعثر على معنـى يطابق هذين اللفظين وأرجّح أنهـم اشتقوا أهطل من الهطل وهـو تتابع القطر. وذكـر محدثي الأستاذ[٤] مسفر بأنّ كلمـة "قوراء" في لهجة نجران صفة للشاة التي يعلو عينيها خط بني اللون. والكلمة جذرها قار[٥] وقوّر الشيء أي قطعة من وسطه. وتقوّر الجُب بمعني انهال التراب من وسطه بغزارة ودفن عمقه. ودار قوراء واسعـة الجـوف. وفي رأيي أن النجراني شبه الخط البني الذي يمتد بين العينين فاصلاً اللـون المتجانس بالشـق الغائر الذي يفصل حواشي الجُبّ. وأضـاف أنّهم يطلقون على شـاة الضائن أو المعيز التـي يجللها السواد بأكملها بأنها "شاة غضفاء" وكذلك يقولون خروف أغضـف وفي اللغة غضفت العود إذا كسرته[٦] وغَضفت الأذن: استرخت ومالت للخلـف[٧] والغضفاء من المعز: المخطة أطراف الأذنين لطولهما[٨]. ويقال نخلةٌ مُغضف ومُغضفـة إذا كانت كثيرة السعـف سيئة الثمر. بيد أن العرب تقول[٩]: أغضف الليلَ إذا أظلـم واشتـد سواده. بـل "الأغضف" في لغتهم هـو الليل. قال الشاعـر[١٠]: (في ظل أغضف يدعو هامة البوم) ونستخلص مما سبق أن نعت النجراني للشاة بأنها غضفاء أي حالكة سواد الإهاب بأكمله يُعد من فصيح البيان.

---

(١) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.
(٢) لسان العرب ١٠/١٣٤ (روق).
(٣) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.
(٤) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.
(٥) لسان العرب ٥/١٢١-١٢٢ "قور".
(٦) المرجع السابق ٩/٢٦٧.- ٢ ← "غضف".
(٧) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".
(٨) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ " غضف".
(٩) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".
(١٠) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".

ومّمـا ورد علـى زنـه أفعل لديهم كلمـة "أقطم" وسمعـتُ مرة أحدهـم يصيح بأعلى صوتـه في ملعب كرة القدم "سَـدّد يا أقطم" أي انّه ينعت اللاعـب بأنه ضئيل الحجم كما فهمتُ عقب استفساري . والعبارة صائبة من حيث التركيب، لكن في المعني نظر لأن الأقطم تعني[١] الذي اشتدّ اشتهاؤه للحم وكذلك اغتلامه. أمّا إذا أمعنّا التفكر في عبارة الراعي النجراني الذي يحث رفيقه لإدخال الجمال في الحظيرة قائلاً: "ارقع البعران" لوجدنا أنّ مـا يقوله عـين الصواب لأن[٢] الرقع يكون بالعصا أو السـوط لكن توظيفهم لكلمة "صقع" لتؤدي المعني المذكور سابقاً، يُعدُّ لهجة يمنية شائعة في نجران بحكم متاخمتها لتلك الديار، لأن الصقـع في اللغـة[٣] معناه الضرب[٤] باليـد أي الضرب ببسط الكـفّ. والصقع ضرب الشيء اليابس بمثله كالحجر بالحجر قال العجاج[٥]: (صقعاً إذا أصاب اليآفيخ احتفر) .

ومنـه اشتـق لفظ الصقيع الذي يسقط من السماء بالليـل شبيه البرد وصقع تعني كذلـك أكل الثريد من صوقعته أي أعلاه. ومن طريـف ما يُحكي أن ضيفاً نزل بأعرابي شحيح، فقدم له الثريدة قائلاً: لا تصقعها ولا تشرمها ولا تقعرها فاحتج الضيف قائلاً: ربـاه أفمِـنْ أين آكل لا أبا لك. والعـرب تسمّي الهائم الذي يحوس الآفاق ليلاً مرفرفاً بجناحيـه يلتقـط الحشرات "الوطـواط" أو "الخفاش" وعرب اليمـن والشام يسمونه "السّـروع"[٦] لفرط خفته وسرعتـه في الانطلاق والروغان. أمّـا أهل نجران فيطلقون عليه لفظ "أبو شطيف"[٧] وشطف من معانيها العامية الشائعة[٨] غسل الثوب ممّا علق به من القذارة والدرن. وفي القاموس ذهب وتباعد. وربما استوحى قاطنو منطقةَ نجران هذا الاسم من براعة الخفاش في الروغان والابتعاد عن الأجسام مهما صَغُرتْ إذ حباه المـولي عَزَّ وجلَّ جهازاً دقيقاً يشبه الرادار ينذره مبكراً بتفادي الاصطدام بالعقبات في كل وجهـة ينحو لها. وأمّا أهل منطقة عسير يسمونه "خفقة" والجمع منه خفق أي اسم جنـس جمعـي كشجر جمـع لشجرة وفي رأيي أن هـذه التسمية نبعت مـن اشتقاق لغوي صائب فالخفق[٩] هو الاضطـراب ولذا تسمي الأعلام خوافق وخافقات وريح[١٠] خيفق

(١) تاج العروس- محمد مرتضي الزبيدي- دار مكتبة الحياة ٣٠/٩ "قطم".
(٢) لسان العرب ١٣٢/٨ "رقع".
(٣) المرجع السابق ٢٠٣/٨-٢٠٤ "صقع".
(٤) المرجع السابق ٢٠٣/٨-٢٠٤ "صقع".
(٥) المرجع السابق ٢٠٣/٨-٢٠٤ "صقع".
(٦) عبد الرحمن سعيد بارود.
(٧) الأستاذ عايض عبد الله القهس
(٨) معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية- د. عبد المنعم سيد عبد العال ٣١٣ مكتبة الخانجي – القاهرة.
(٩) لسان العرب ٨٠/١٠-٨١-٨٢-٨٣.
(١٠) المرجع السابق ٨٠/١٠-٨١-٨٢-٨٣.

أي سريعة والخفقان: اضطراب الجناح والخفقة في اللغة تعني أيضا المفازة ذات الآل أي الصحراء الشاسعة ذات السراب.

وممّا ورد في لهجة يام على وزن "فِعلة" قولهم: "حِلقة" ويعنون بها حزمة البرسيم الصغيرة وجمعها حِلق وحِلاق[١]، وهي لغة بني الحارث بن كعب قديماً. و"الفِلْعة" لديهم القطعة من خبز أو بر وأصلها من فلع الشيء إذا شقه كقولنا فلع الرأس بالسيف أو بالحجر، وتلّفحتْ قدمه من البرد أي تَفَلّعت من الفلوع. ولفظة "شِقْفة" يُراد بها في تلك اللهجة ما انشطر من التمرة، وذكر صاحب اللسان بأنها ما انكسر من مادة الخزف وما شابه ذلك. أما وزن "فَعْلة" فمن أضرابه في لغة نجران "رَعْوة" وهي النير الذي يُحترث به أي من أداته الخشبة التي توضع على عنق دابة الحرث. قال اللغوي أبو عمرو هي "الأرعوة"[٢] وهي لغة أزد شنوءة. ومن هذه الزنة "دجوة" اسم للفافة الصوف والخيوط الثخينة التي يُستعان بها في رفو الكساء وخياطة البرد أو البساط. وهي مشتقة من دجا الليل بمعنى ستر الأرض بظلامه والعرب تقول[٣] عنز دجواء أي سابغة الشعر. ولديهم أيضا "الشكوة" على زِنة فِعْلة وهي ضرب من القِرب يستخدم لمخض اللبن واستخلاص وجيزته من السمن الصافي.

وخاطبني مَضيفي النجراني مرةً قائلاً: المطْهر أمامك تهيأ للصلاة يعني بذلك المرحاض. والكلمة على وزن "مِفْعَل" و"مَفْعَلة" أي مطهرة وهي المكان الذي يُتَطَهّر فيه[٤]. والمَطْهرة الاناء المستخدم لذلك الغرض وعلى صيغة "مِفعل" لدى سكان نجران أيضا "مِبْخَر" ويصنع من الطين اللازب أو الحجر ويُضرم فيه البخور ليفوح شذاه معطراً الأرجاء. و"مِرْفَع" وهو ضرب من الطبول الكبيرة يُقرع بعود قصير يُسمي "المضراب". وأيضاً "المِدْهَن" ضرب من الأقداح يوضع فيه الطعام من خبز ومرق ولحم. وتختلف أحجامه إذ يُشكّل من الحجر الهش وفقاً لخبرة الصانع وتفننه. و"المجمر" وعاء له قاعدة كبيرة يوضع فيه الجمر ليسري الدفء داخل الخيمة أو الدار أوان الشتاء. أمّا "المِسْرجة" فتتألف من وعاء حجري يحوى مادة الإيقاد الدهنية التي تغذي الذُّبالة أي الفَتيلة التي تشتعل فينتشر الضياء. وللمِسْرجة غطاء ومقبض وقد أضحت من الأوعية الأثرية في المتاحف والعرب تقول مِسْرَجة وسراج، فالشمس سراج الكون والهدى سراج المؤمن. وسِقاء الجلد الذي يملأ ماء ويحمل عادة على ظهور الدواب أو يطرح علي الأرض ليستقى منه يُسمى في بلاد يام "المشراب" وصنع "مِفْعَل" ومِفْعَلة ومفعال كلها زنات صحيحة لاسم الآلة. وأشار رفيقي الذي كان يصحبني مرة

(١) لسان العرب ٦١/١٠ "حلق".
(٢) المرجع السابق ٣٢٧/١٤.
(٣) القاموس المحيط ١٦٥٤ "دجا".
(٤) تاج العروس ٣٦٣/٣.

بين المروج إلي "الحَدْرة" ليعرّفني بها وهي موضع في لُبّ الزرع أو أطرافه وتجُمع فيه حِزم القصب. وأصلها في اللغة من حدرت[١] العين بمعني اجتمع فيها الدمع حتى فاض.

ويقول الجوهري: رجل حادِر مُجتمع الخلق، والنجراني وظّف هذا المعني علي زِنة "فَعْلة" فالحَدْرة كومة القصب . وممّا ورد على زنة "فَعْلة وفِعْلة" كلمة "حذوة" والكلمة مشتقة من "الحذاء[٢]" أي الإزاء، إذ تقول العرب:- "دَاري حذوة دَاره" بالكسرة مشتقة من الازاء. لأنّ تلك الحيود تُرص حول جُدار الدار لحمايتها من السيول الدافقة والسوائم الهائمة وغير ذلك. وممّا جاء على زِنة "فَعْلة" كلمة "عَجْمة" لنواة التمر. ولكن شاع في كلام العرب أن تطلق كلمة "عَجْمَة" على النخلة التي[٣] تنبت من النواة وعلي الصخرة الصلبة وختاماً فإنَ كلمة "درفة" على زِنة "فِعْلة" والتي هي جزء من باب بين الطين لديهم لم أجد لها أصلا بلَ تُعَدّ في رأيي استَعمالاً لهجياً خاصاً. قد أسعفني الرفيق[٤] ناجي آل معيوف بغيض من فيض اللغة من لهجة نجران. من ذلك كلمة وضم. والبعض ينطقها بالظاء وذلك أيضا من لغات العرب خشبة القصاب التي يقطع عليها اللحم، وفي القاموس: ما وقيت به اللحم عن الأرض من حجر أو مدر أو غيره قال الشاعر مزهواً بمواجهة الأخطار وسير الليل وركوب الخيل[٥]:

هذا أوان الشدّ فاشتدي زيم قد لفها الليل بسوّاقٍ حُطم
ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضم

والأطلس[٦] لديهم صفة للسواد تمازجه غبرة وينعتون به الشخص الرذيل ذا الفعلة الشنعاء. وقد وردت في قريض الفرزدق حينما نزل بمكان اسمه "الغَريين" ، فعراه علي ناره ذئب يخالط سواد غبرة. فأبصره الشاعر وقد أقعى يصيئ ويشتم الشاة المسلوخة فرمى إليه بيدها فالتهمها ثم اتبعه جنبها حتى شبع وولى. فأنشد:

وليلة بتنا بالغريين ضافنا على الزاد ممشوق الذراعين أطلس

ويطلقون علي كل ساحة ليس فيها بناء "عَرْصة" وقد أنشد امرؤ القيس عندما مر برسم دارسٍ لمنازل أثيرة إلي نفسه فجاش فؤآده بذكريات الأحباء[٧]:

---

(١) لسان العرب – المرجع السابق ١٧٢/٤ "حدر".
(٢) الصحاح ١٢٩/٢٨/١٢/٣ "حدر".
(٣) القاموس المحيط ١١٣٥ "عجم".
(٤) مدير قناة الوادي التلفزيونية.
(٥) فصل المقال في شرح كتاب: الأمثال . أبوعبيدة البكري ٤٠٤/١ – دار الرسالة بيروت ١٩٨٣م.
(٦) ديوان الفرزدق ٥٠٣- دار الجيل بيروت.
(٧) شرح المعلقات العشر ٧٧ – دار العلوم العربية – بيروت.

تـرى بعسـر الآرام في عَرصاتها وقـيـعـانـهـا كـأنـه حـبُّ فُـلـفـل

قـال الشاعر النجـراني في معرض المدح لأحد الشبان "لا خابـت أمه ولا أفلس مَنْ بزاه" ويقصد بكلمة بزاه رباه ورعاه حتى اشتد ساعده ولكن بزا تعني[١] قهر وغلب، مثل قولنا بزونا العدو أي دحرناه. وقال الشاعر النابغة الجعدي[٢]:

فـمـا بـزيـت مـن عـصـبـة عـامـريـة شـهـدنـا لـهـا حـتـى تـفـوز وتـغـلـبـا

يعنـي ما غُلبت . ومن الأفعال التي اعتادوا استخدامها بمعنى "أصمت" فعل الأمر "البـخ" وجذره الثلاثي لبخ، ولـه معانٍ عديدة منها: ضرب وأخـذ وفتل واحتال للأخذ وتطيّب ومنه قول الشاعر[٣]:

هـداني إلـيـهـا ريـح مِسـك تـلـبّـخـتْ بـه في دخـان المِـنْـدَلـيّ المِـقَـصَّـدِ

ومما سبـق يتضح لنـا أنّ هذا الفعل أُسبغـت عليه دلالة معنوية جديـدة في تلك البيئة وأهل تلك البقاع يطلقون كلمة "الدَّرْب" على البيت الذي شُيد من اللَّبِن الذي تتكون عجينته مـن طين لازب قوى متماسك، بل يُمكـن أنْ يُناف البناء منه إلى عدة طوابق غير أن كلمة[٤] "الـدرب" تعني في الفصحـى باب السكة الواسـع وكذلك الباب الكبـير وأيضا المضيق بين الجبـال[٥] والموضع الذي يوضع فيه التمر وهذا النـوع من الأبنية التي وصفتها إذا ران عليه البِلـى وآلتْ دعائمه على الانهيـار، يصفه سكان نجران بأنه "تهـايم" أي تداعى وتساقط. ويسمونـه "خَـرْب" والخَـرْب من الخـراب وهو نقيض العمـران ولم أجد لكلمتـي "دَرْب" و"تهـايم" مطابقة للمعـاني التي تُردد في واحة نجران في المعاجـم وما يقصد بهما يعد من ضروب التطور الدلالي. وبما أنّ إقليم نجران تحدّه اليمن من الجنوب وتقع مكة إلى الشمال منـه سمّـي أولئك القوم جهة الجنـوب "يمن" والشمال "قِبلة" لأنه صـوب الكعبة المشرفة. وذلـك على سبيـل الاصطلاح. وسمَّى[٦] أولئـك القوم جهة الشرق حَـادر وذلك من فصيح الـكلام بالنظر إلي طبيعة الأرض في بلادهم. قال الأزهـري: الحَدْر[٧] من كل شيء تَحْدُره مـن عُلْـو إلي سُفْل. فمن قمم جبـال نجران الشاهقة رعوم وأبي همـدان وما خلفها وإزائها تنحـدر الأرضـ بتدرج صوب الشرق إلى أن تتداخل مع فلـوات الربع الخالي المنبسطة. ومن

(١) لسان العرب ١٤/٧٣.
(٢) المرجع السابق ١٤/٧٣.
(٣) المرجع السابق ٣/٥٠.
(٤) لسان العرب ١/٣٧٤ "درب"
(٥) المرجع السابق ١/٣٧٤ "درب".
(٦) مهدي محمد غضيف.
(٧) لسان العرب، ٤/١٧٢.

هـذه الأماكن الهابطـة إذا سرنا في الاتجـاه المعاكس. أي صوب بلاد نجـران فإننا قَصَدنا السَّند: أي ما ارتفع من الأرض في قُبُل الجبل أو الوادي والجمع أسناد[١].

قال الجوهري: السَّنَدُ: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح. فإذا قال النجرانيّ رأيت رجالاً يُسْنِدونَ ونساءً يُسْنِدن بمعني الاتجاه غرباً فذلك من سداد القول[٢]. ويستخدم أهل نجـران صيغـة الأمر من "زهل" إذ يقولـون ازهل في أسلوب الخطـاب بمعني اعتمد هذا الأمر وأنا سأتكفّل به. والعرب تقول: زَهِل زَهلاً، فالزهل هو[٣] "امْليساسُ الشئ وبياضه. والزّهلـول تعنـي الأملس الظهر. وقد ورد هـذا الوصف في بردة[٤] كعب بـن زهير عندما وصف ناقته بأن القراد حينما يدبُّ علي لبانها وخواصرها ينزلق أرضاً من فرط بدانتها.

يمشـي الـقـراد عليـها ثـم يزلقـه عـنـهـا لـبـانُ وأقـــرابُ زهـالـيـلُ

والزاهل في اللغة هو المتباعد عن الشر، المطمئن القلب. والمعني عينه يطابق العبارة التـي ترد كثـيراً علي ألسن أهل نجران: "ازهل يا رجـل" أي "اطمئن لما أتعهد به" أما قولهـم "أَصْقَرْ هَنْتنا" يعني أزعجتنـا غاية الإزعاج. فالعبارة أسلوب يُكَنّى به عن شدة الضوضـاء التي يسببها الشخص المخاطب، فكأنه استخدم[٥] صاقوراً أي فأساً عظيمة ذات رأس واحد تُخصص لتحطيـم الحجارة. وللصَّقر لغة: ضـرب الحجارة بالمعول. وتركيـب الـكلام يحسب الأصل كالآتي: "ها أنت أصقرتنـا" على وزن "أَفْعَلْتنا" ونظير ذلـك كقولك "أكرمتنا" فالنجـراني قدّم الفعل "أَصْقَر" ثـم أعقبه بلاحقة دمج فيها "هـا التنبيـه" من غير مد مع ضمـير المخاطب البارز "أنت" بعد حـذف همزة القطع منـه ثـم وصله شذوذاً عن القاعدة ، بناء الفاعلـين، وهي ضمير في محل نصب مفعول به وهكذا صار تركيب الكلام: "أَصْقَر + هَنتنا". وتجري على ألسنة قُطّان نجران كلمة "أَنْقـح" بمعنى اطرد كقولهم: "انقح الطير من المزرعة كي لا يلقط حب السنابل" كأن يرميـه المخاطـب بحجر حتى يرفرف مبتعـداً عن الحقل. لكن نقح نقحـاً في فصيح[٦] الـكلام تعني تشذيب جذوع الشجر وتهذيـب الشعر الكث واستخراج المخ من[٧] العظم. وأَنْقَحَ تأتي أيضا بمعني خلع حِلية سيفه أو بغيره وباع ذلك ليستعين به في قضاء حوائجه في أوان الجـدب والقحط. ومن ثمّ فالاستعمـال النجراني لكلمة "انقح" فيما أري. يُعدُّ

(١) لسان العرب ١٧٢/٤ "حدر".
(٢) المرجع السابق ٢٢٠/٣ "سند".
(٣) لسان العرب ٣١٣/١١.
(٤) المرجع السابق ٣١٣/١١.
(٥) لسان العرب ٤٦٦/٤.
(٦) لسان العرب ٦٢٤/٢-٦٢٥.
(٧) لسان العرب ٦٢٤/٢-٦٢٥.

ضرباً من أساليب الكناية ويُشار به إلي الإبعاد. وعبارة "تعال يا جِفر" بمعني صبي يشيع استعمالها لدي قبيلة يام. والعربي قديماً يعني[١] بها الصبي الذي انتفخ لحمُه وبرزت كرشه والأنثى "جفرة" ويقال استجفر وتجفّر بَيْدَ أنَّ كلمة "جِفْر" في الغالب الأعم يعبر بها عن جدي الشاء إذا عَظُم واستكرش[٢].

قال أبو عبيد[٣]: إذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر جفر أي انتفخ جنباه، وفُصل عن أمه وأخذ في الرعي فهو "جِفر" وعلى كل حال فاستخدام هؤلاء القول لكلمة العرب. وقد ورد[٤] في حديث السيدة حليمة السّعدية ظئر النبي- صلي الله عليه وسلم- إذ وصفته قائلةً "كان يَشُبُّ شباباً لا يَشُبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً "جِفراً" والجَفْر في لغة اليمن يُراد بها السرعة في المشي. وفي الدعاء على غيرهم إذا بدر منه ما يشين قولهم: "جعلك الغضار" فالغُضار طين لازب اخضر والغضرة[٥] والغضراء هي الأرض الطينية العلكة الخضراء، وفي الدعاء[٦] على الغير تقول العرب: أباد الله غضراءهم. أي ازال نعمتَهم وبهجتهم وسعة عيشهم . وعلى كل حال فالعبارة تحوي في ثناياها دعوة سوء بأن يغوص الشخص المدعو عليه في أرض طينية عَلِكة كالفخ تماماً، تعجز الفريسة من الفكاك منه فتظل حبيسةً عالقةً في ذلك الوحل حتى تلَاقي حتفها. وهذا الموقف مألوف في البادية إذ تغوص الدواب عادة في هذه الأوحال التي ينحسر عنها ماء الأودية- فتجف، وتنفق الدواب الغاطسة فيها إنْ لم تجد منقذاً. وهذه العبارة "جعلك الغضار" لها ما يماثلها لدى العرب الأقدمين[٧]: " أباد الله غضراءهم" بمعني أزاح عنهم النعمة وكدّر عيشهم.

ويصفون السير وقت المقيل بعبارة "مشينا قوهارة" تعبير عن اشتداد الغيظ. وهم اشتقوا صيغة "فوعالة" من جذر كلمة قَهِر، تقول العرب[٨] قَهِر اللحم إذا أنضجته ومنْ ثَمَّ استعار النجراني المعني كفلح الهجير عندما تتوسط الشمس كبد السماء. وفي رأيي أنّ أصل كلمة "قوهارة"[٩] من الوَهِر وهو توهج الشمس على الأرض حتى يُرى له اضطراب كبخار الماء وهي- كما ورد في كتب التراث- لغة يمانية. واستعارتها لهجة

(١) المرجع السابق ١٤٢/٤.
(٢) أشكرك يا دكتور حمدون على هذا الرصد اللغوي الذي قد يفتح مجالات أوسع وبحوثاً أطول وأعمق في لغات ولهجات بلاد السروات الممتدة من نجران إلى الطائف .(ابن جريس).
(٣) المرجع السابق ١٤٢/٤.
(٤) الرحيق المختوم- صفي الرحمن المباركفوري ٦٢- دار الوفاء المنصورة – ط٧.
(٥) لسان العرب ٢٣/٥ "غضر".
(٦) المرجع السابق ٢٣/٥ "غضر".
(٧) لسان العرب ٢٣/٥.
(٨) لسان العرب ١٢٠/٥-١٢١.
(٩) اللهجات العربية – د.ابراهيم شمس أنيس ٢٧٤.

نجران بحكم الجوار، وتحقيقاً للاتساق النطقي قلبت الواو قافاً فصارتْ "قوهارة". ونعتهم لربة الدار "هذه كُحَيْلة" فالكحَيْلة في عرف قاطني منطقة نجران هي المرأة المدبرة التي تدير بيتها بحذق ومهارة، وتنطق هذه الكلمة بإمالة خفيفة في اللاحقة تطابق كلمة (hay) الانجليزية في مقطعها. والتي تعني العشب، وهذه الكلمة في نظري مشتقة من كحل بمعنى وضع في العين ما يُشتفي به أو يجليها كذلك المرأة النجرانية تدأب في إعداد الطعام الشهي ونظافة الدار وتربيتها حتى تبدو بهية تبهج ساكنيها وزائريها. وفي نظري أنّ النجراني نحا في صياغته هذه الكلمة منحى عامة العرب في كلمة "كُمَيت"[١] التي لا ترد إلا علي وزن "فُعيل" والكلمة هذه صفة للحمرة التي يخالطها سواد. ويري اللغويان[٢] الخليل بن أحمد وسيبويه أنها صُغِّرت لأنها أصلا لم تخلص لحمرة ولا لسواد. وقد صاغها شعراً امرؤ القيس في وصفه لحصانه[٣].

كُمَيْت يزلُّ اللبد عن حال متنه كمَا زَلّتْ الصفواء بالمُتَنَّزِل

وخلاصة القول أنّ النجرانيّ صاغ كلمة "كحيلة" على النهج الذي سلف ذكره، مراعاةً لمقاصد التصغير في[٤] التعبير عن التدليل وإظهار الإعجاب والفخر. والجدير بالذكر أنّ مما أُثر في لغات العرب القديمة[٥]. ولاسيما في منطقة نجران. إثبات الألف في المثنى ويجعلونه كالاسم المقصور تماماً. أي تكون الحركات فيه مقدرة. فيقال على تلك اللغة: قَدِم الضيفان وأكرمت الضيفان وورد علي هذه اللغة قول الشاعر[٦]:

تزوّد منّا بين أذناه طعنةً دعته إلي هابي التراب عقيم

والشاهد في كلمة "أذناه" فلو أنّ الشاعر جرى على لغة الجمهور لقال أذنيه. وعلى هذا يتخرج قوله تعالى (إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ)[٧] ويعزى هذا الاستعمال اللهجي لبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني[٨] الهجيم . وورد ذلك أيضا على ألسنة قوم من خثعم وزبيد وكنانة. وقد أشار صاحب الهمع إلى الشاعر الذي نحا في قريضه إلى هذا الاستخدام إذ يقول:

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ٢/٨١-٨٢.
(٢) المرجع السابق ٢/٨١-٨٢.
(٣) ديوان امرئ القيس ٥٣-دار بيروت ١٩٧٢م.
(٤) التصريح علي التوضيح للازهري ٢/٥٥٩ – دار الكتب الفصحية – بيروت – ط١٤٢١هـ.
(٥) معجم لغات القبائل والامصار، جميل سعيد، ص٥١-٥٢-٢٩ – ج١ – المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨.
(٦) الاشموني ١/٧٩.
(٧) الهمع ١/٤.
(٨) المرجع السابق ١/٤.

إنّ أبـــاهـا وأبـــا أبـاهـــــا قـد بـلـغـا في المـجـد غـايـتـاهـا

ونُسـبَ إلى عشيرة بلحارث بن كعب[١] قولهم: أخـذت الدرهمان واشتريت الثوبان وفي التحيـة: السلام علاكم وتفسير ذلك أنّ انفتاح ما قبل الياء الساكنة أدى إلى قلبها ألفـاً. لكن هذا الاستعمال اندثـر في لهجتهم الحديثة ويلتزمون الصيغة اليائية للمثنى. نحو "ولدين" .في جميع الأحوال[٢]. وكثيراً ما يعبر هؤلاء القوم عن السنة التالية بقولهم "القابلـة ازرع قرب الوادي" القابلة قد تعني "غداً" وفقاً لما يدور بين المتكلم والمخاطب مـن حديث. وعموماً فالمعني مفهوم من السياق، وذلك بحذف الموصوف وإثبات الصفة لـه والتعبـير فصيح، وقد ورد في الحوار الـذي دار بين المسلمين وقـوم من قريش عقب غـزوة[٣] أحد حينما قـال أبو سفيان: "موعدنا بـدراً عاماً قابلاً" فـردَّ المسلمون عليه بإيعـاز مـن النبـي. صلي الله عليه وسلم. "نعـم، إنّ موعدنا معك العـام القابل". وكم سمعت ترددهم للقابلة بمعني صبيحة اليوم المقبل في عبارة "القابلة عندنا عرس".

ويستعملـون كلمـة "خوّش" بمعني انتقص من أمر مـا بسبب ما رَانَ عليـه من الارتباك. والمعنـي صحيـح. وقد بسـط فيه القول اللغـوي الفيروز أبـادي[٤]. والتقطت أذنـاي كثيراً من العبـارات إبـان جولاتي العديدة في أسواق النّعـم المسماة "بالمجلابة" فـكان أحد الباعة يردد لزميله قائلاً: قد خدعوني الرجاجيل في ثمن الشاة الصمعاء السمينة. فالملاحظ أنّه أسند واو الجماعـة للفعل خدعوني على صياغة لغـة "أكلوني البراغيث" أمّا[٥] "الرجاجيل" كما ترد في عاميات الجزيرة العربية فهي جمع "لراجل" أي مَنْ يسير على قدميه. ورجال جمع رَجُل المذكر مـن جنس البشر. وأيضا[٦] رجال جمع راجل وقد وردت في حديث الخوف: فان كان الخوف هو أشد فصلوا رجالاً وركباناً. وإذا قلنا هؤلاء قوم رِجال فهي صفة تعني ذوو شدة وشهامة وهؤلاء نسـاء رِجال أي ماشيات غير راكبات والمفرد من ذلك امرأة رَجْلى. والصمعاء الصغيرة الأذن ومذكرهـا أصمـع وذلك من صـواب كلام العـرب. ورد في الحديث أنّ ابن عباس لا يرى بأساً بـأنْ يُضحى بالصمعاء. والصمع صغر الأذنـين أو لصقوهما بالرأس[٧]، خلافاً للسّك[٨] ويقال السـكك بفك الإدغام يعني الصمم وكذلك صغـر الأذنين ولزوقهما بالرأس وقله اشرافهما أي

(١) الهمع ١/٤.
(٢) النوادر أبو زيد الأنصاري ٥٨.
(٣) لسان العرب ١١/٥٣٦-٥٤٦ "قبل".
(٤) القاموس المحيط ٧٦٥ "خوش".
(٥) لسان العرب ٣/١٤٢ "رجل".
(٦) المرجع السابق ٣/١٤٢-١٤٣ "رجل".
(٧) الصحاح ٣/١٢٤٥ "صمع" .
(٨)) لسان العرب ١٠/٤٣٥-٤٤٠ "سكك".

بروزهمـا. وأورد بعض اللغويين أن سـكاء مرادف لصمعاء، لكن الشائع أن السكاء لها ضيق في فتحة الصماخ، أي فتحة سمعية تسري الأصوات من خلالها من غير أذن.

ومـن ثمَّ استنبط حكمـاء العرب الأقدمون قاعدة علميـة مهمة في عبارة مسجوعة وجيزة بليغة في قولهم: "كل سكّاء بيوض وكل شرقاء ولود". أي ذوات الآذان كالسنانير واليرابيع والسباع وغيرها تلد وذوات الفتحات السمعية كالطيور والزواحف والحشرات تبيضـ. ولذا صنفـوا الخفاش من الثدييات رغم تباهيه بسرعـة الطيران والروغان في حندس الليل ومغارات الكهوف الدامسة. وفي إحدى الحظائر لاحظت راعياً ممسكاً بفم النَاقـة وهي ترغو ويجرّعهـا العقار عنوةً. فأجابني عنـد السؤال:- "هذه البكرة تخلج" وخلـج واختلج تعني[١] اضطرب كقولنا: اختلج صـدره بالمشاعر واختلج جفن عينيه إذا رفَّ وتحـرّك. وسحب[٢] خلوج يحركها الهواء وتسح الماء مدراراً وتقدح البرق الخاطف. وناقـة خلوج أيضا من ألفـاظ الأضداد بمعني غزيرة اللبن وأيضـا اختلج عنها حوارها قلـت رضاعتـه وقَلَّ درّهـا[٣]. وخلـوج تعني تسـرع في سيرها. ومن خلال هـذا البسط نستخلصـ أنّ عبارة الراعي النجراني[٤] سليمة التركيـب فصيحة التعبير. وتدور على ألسنهم عبارة "لك الروع" والروع هو الخوف وتعني احذر هذا الأمر[٥].

٣. نماذج من الشعر النبطي، وصور من الفن الغنائي :

تنتظـم منطقـة نجـران نهضـة حضارية شاملـة تتمثـل في: التخطيـط العمراني والبنيـان الراقـي، والخدمات الاجتماعيـة الميسّـرة، وجامعتها المزدهـرة، وقناة البث الإعلامـي "الـوادي"، والمطابع الحديثـة ودور الصحف السيـارة والانفتاح عبر وسائل التواصـل المتنوعـة. بالإضافة إلى الـدور البارز لنادي نجران الأدبـي الصاعد في دعم الأنشطـة الثقافيـة المختلفـة وحفز النشـء للعطاء المثمـر. وقد انخـرط كثير منهم في الكتابة الإبداعية لمختلف الأجناس الأدبية.

---

(١)) لسان العرب ٢/٢٥٩ "خلج"..

(٢)) المرجع السابق ٢/٢٥٩ "خلج".

(٣)) المرجع السابق ٢/٢٥٩ "خلج".

(٤)) أبان الشرح الأستاذ عبد الله آل مستنير.

(٥) نشكـرك يا دكتور حمدون على هذه النماذج الصرفيـة والتراكيب اللغوية عند أهل نجران ، وما ذكرته فقط أمثلة قليلـة جداً ومن يتجول في بلدان تهامة والسـراة فإنه سوف يجد كماً هائلاً من الاصطلاحات والمفردات واللهجات والتراكيب اللغوية المتنوعة في معانيها ، وأصواتها ، وتصريفاتها. بل من يطلع على الوثائق التاريخية المحلية خلال القـرون الماضيـة المتأخرة فإنه يجد فيها مخزوناً لغوياً ومعرفياً كبيراً ، وآمل من أساتذة اللغة العربية في جامعات الجنوب السعودي أن يلتفتوا إلى هذا الميدان فيدرسونه في بحوثهم، ويوجهون طلابهم في الدراسات العليا لدراسة مثل هذه الميادين البحثية الجديدة في أبوابها. (ابن جريس).

(أ) نماذج من الشعر النبطي :

وبما أنّ البحث يستهدف اللغة على المستوي اللهجيّ أيضا، فقد اخترت بعض النماذج الشائعة من الشعر النبطيّ في واحة نجران وتتسم بحُسْن السبك وسلاسة الأسلوب وذلك للاطلاع على مكنونها[١].

١- قصيدة ابن مهذل الصقور:

من شعراء يام المرموقين: محمد بن مهدى بن ظافر آل مهذل الصقور ووالده مهدي وكذلك الشيخ بنيان ومحمد بن صالح وسعيد بن مهدي ويحي بن حمد وعلي بن مهدي وكلهم من آل مهذل ولهم إصدارة شعرية بعنوان "ديوان آل مهذل". وقد نالت الحظوة لدى الملك سلمان بن عبد العزيز إثر مقابلته للشاعر محمد بن مهدي وإنشاده بحضرته، فتكفّل جلالته وقتذاك بطباعة المؤلّف. والكتاب موسوعة حوى قريض زمرة من آل مهذل الصقور وهم من شيوخ يام ذوي المواهب والعطاء الأدبي الثّر. وقد تناولت بالشرح والتحليل القصيدة الوصفية التالية التي بسط فيها الشاعر بعض التوجيهات السديدة والقيم النبيلة. هذه القصيدة قالها الشيخ/ بنيان بن علي بن مهذل في فرسه الأصيلة[٢].

يا راكب من فوق رسلا القراني أسبق من اللي ينقل الخط مكتوب

---

(١) هنالك ثلة من شباب نجران وشيبها شاركت في إثراء النهضة الأدبية والثقافية بالمنطقة. وفئة منهم ساهمت بفعالية في طرح الأفكار النيرة في مواقع التواصل. ومن هؤلاء علي سبيل المثال لا الحصر: د. فيصل منصور آل فاضل، د. يحيى حسين الشريف أبوطالب، د. عوض مناحي، عبدالله مهدي سدران، محمد مهدي سدران، مسفر صالح آل قريش، صالح عبد الله آل زمانان، ناجي مهدي آل معيوف، د. محمدناجي آل سعد، صالح عامر، إبراهيم سنان، صالح سدران، عبد الله سدران، سعد حسن آل سالم، صالح بن عايض آل مخلّص، سالم مرعي اليامّي، محمد هادي آل هتيله، مانع دواس، مشعل آل قراد، إبراهيم سنان، ناصر الصقور، صالح سالم عرفج آل سنان، مسرع آل دبيش، سعد بن صياد، سعيد آل مرضمة، عبد الرحمن آل دبيش، صالح اليامي، علي الدغيشي، راجح العجمي، قناص أحمد آل سوار، محمد المكاييل، فلاح المحامض، علي بن فنيس، محمد بن قنيفذ، هادي الرزقي، خرصان اليامي، محمد منصور آل فاضل، وبران آل كليب، ومن شعراء نجران البارزين أيضا: علي بن بلال، محمد آل مهذل، بنيان آل مهذل، محمد بن ذيب المهان، ابن دوغار، مهدي بن سمرة، مهدي بن سدّاح، ناجي آل مطلق، يحي بن سدران، أبوجبهة حمد آل سدران، مهدي بن سميطان، محمد بن غضيف، حمدان آل غضيف، حمد آل عامر، سالم آل غضيف، سالم المحيريق، حمدان آل مجيريق، يحي حمدان آل مجيريق، عويضه حمزان آل منصور، مانع بن جلاب، مانع حمد نتاش، مهذل الصقور، وشاعر المساجلات والمنافسات سعيد اليامي. ومن الرواة: محمد حمد الفحص ومحمد صالح محمد الشيبة آل سدران. (حمدون كباشي) . أشكرك يا دكتور حمدون على ذكر هؤلاء الأعلام ، ومازال هناك أعلام كثيرون في منطقة نجران يستحقون الذكر والإشادة . (ابن جريس) .

(٢) ديوان آل مهذل الصقور/ محمد بن مهدي آل مهذل الصقور- ط٢ نجران ١٤٢٨هـ. (حمدون كباشي) . صاحب هذا البحث أشار في مقدمة المحور المذكور أعلاه إلى بعض صور التطور الحضاري الذي وصل إلى بلاد نجران منذ نهاية القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر. وكوني اعرف نجران جيدا ، وأصدرت العديد من الكتب والبحوث عن هذه البلاد العربية الأصيلة ، أقول إن منطقة نجران تستحق العناية والخدمة العلمية والبحثية فهي مجال واسع في شتى الميادين . وإذا ركزنا على تاريخها وحضارتها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم فإنها حظيت بالكثير من الازدهار والتطور والتنمية الحضارية الحديثة والمعاصرة ، وهذه الجهود المبذولة في هذا الميدان تستحق أن توثق في عشرات المجلدات ، وآمل من جامعة نجران أن تنشئ مركز بحوث يختص بتاريخ وحضارة وتراث وموروث البلاد النجرانية فهي جديرة بذلك . (ابن جريس) .

تنصى حمد يا شوق مجلي الثماني ... قد ريت أنا في تالي الحد مقلوب
ريت الثعل يلعب مع الكيرواني ... والشور يجرا به مع كل خبخوب
يا نحمد الله يوم ربي عطاني ... بنت الكحيلة جات لي عقب مطلوب
المعرفة كنها حرير اليماني ... مهذوبة الساقين والعنق مسلوب
والعين عين امجرّب صيرماني ... عَدَى وهو يطلب من الحق ما جوب
والغارب اللي كَنْه قصر المباني ... وإلا الوثن بين أعرب عقب مشبوب
لي صاح صياح وعلمه لفاني ... من أسفل الوادي قد المال منهوب
تلحق بزانتها وكنها الشطاني ... تلحق بزانتها قد الريق بيروب
تلحق بعود فارس هيبداني ... لي حمي سوق الموت والعمر مجلوب
تلحق برمحٍ مستطيل السناني ... وتلحَق بسيف مرهف الحد مشطوب

حفلت القصيدة بصور بيانية عديدة أسبغت على المعنى قوة ورصانة، فبدأ الشاعر بأسلوب النداء مبدياً إعجابه بالفارس الذي يعتلي صهوة هذه الفرس. ووصفها بأنها (رسلا القراني)، وأصل العبارة "رسلاء القرانِ" وحذف الهمزة تيسيراً للأداء الصوتي. والترسّل تعني التوجّه، والقران والقرن حبل الدابة. يقول الشاعر أنّ هذه الفرس تعدو منطلقة طوع أمر فارسها أينما يوجهها ما دام مرخياً لها اللجام. بل تفوق سرعتها مطية ساعي البريد الذي يحمل رسائل مهمة في طياتها خبر جلل. وفي البيت الثاني يقول الشاعر: "تنصى حمد" أي أوجه[1] حديثي إلى أخي حمد ذلك الشاب الوسيم الذي هو محط اعجاب لكل غادة ذات حسنى يتلألأ برق الثنايا من ثغرها وينبهه بتغير الظروف. دَبجّ الشاعر تشبيه تمثيل رائع إذ أبدي استغرابه عن انقلاب الأمور وتغير الأحوال مع كرور الأزمان. فها هو الثعلب ذو الدهاء يلهو مع طيور الكروان ـ وهي من ضمن طرائده ـ وكأنها تأمن مكره . فهذا الموقف يماثل لتلك العشيرة التي تركن إلى استشارة "الخبخوب" أي الشخص ضعيف الرأي كليل البصيرة وذلك إذا أحسّتْ بخطر محدق. وفي البيت الرابع عبّر الشاعر عن فرحته الغامرة بامتلاك تلك الفرس الأصيلة التي أهداها إياه صديق أثير لبّى طلبه من أول وهلة، وهي من السلالات الأصيلة لديهم : الكحيلة والصقلاوية ، ومصداق ذلك أنَّ أهداب عرفها تنسدل كحرير ناعم جُلِبَ من بلاد اليمن، وهي ذات سوق نحيفة وعنق دقيق، وتلك صفات التخاية. أمَّا غاربها ـ وهو مؤخر العنق ـ فهو ضخم متين كأنه قاعدة لقصر مشيد من حيود ولا يقل صلابة عن الوثن الذي يوضع على حدود الأرض ليفصل بينها.

ويحكي الشاعر عن واقعة انطلاق صرخة استغاثة داوية من أسفل وادي نجران، ولما

(١) راوي الواقعة التاريخية أستاذ محسن آل مهذل.

تيقـن من الحدث بقوله "علمه لفاني" وخَبِرَ اعتـداء اللصوص على مال القبيلة، سارع للنجـدة دون تـردد أو وجل ليسعف ربعـه في صَدّ الغارة. برز الشاعـر وقد تدجج بلأمة الحـرب على متن فرسه التي شبهها في السرعة بأشطان دلاء يرمي بها قوم عِطاش في لُـب البئر وما هي إلا لحظات معدودة – قبـل أن يبتلع المرء ريقه – حتى أدرك الفارس أولئك اللصوص وردّ مع ثلته المال المغصوب. أنّه "عود أحمد" لهذا الفارس "الهيبداني" المقـدام الذي لا يُحجم الخُطا إذا اشتد وطيس العراك، بل يخوض عِمار الوغى بسنانه الطويل وسيفه الصقيل وهذا الفارس يتحلى بحميد الخلال دأبه بذلَ العون لربعه، فما إنْ يقضى دين بعضهم حتى تطرق بابه فئة أخري تنشد كشف الضائقة عنها.

كمـا حوت هذه القصيدة معاني شتى إضافة إلى وصـف الشاعر لفرسه الرسلاء. فقـد نَبّه قبيلته متمثلةً في إسناد الخطاب لأخيه الوسيم "حمد" بتوخي اليقظة والحذر من تقلب صروف الدهر مستدلاً بوجوه البيان المعبرة التي أوردها في البيت الثالث. وقد استعمـل كلمة "خبخوب" ولها وقع في إصابـة المعنى الذي يرومه فهي مشتقة من الفعل "تخبخـب" وتعني الشخـص الذي أنهكه الهزال حتـى لا يكاد يُسمع صوتـه، وهو ينفّرَ بذلـك عصبته من شور العيـي الضعيف- وكلمة "الكحيلة" ربما يعنـي بها وفقاً للهجة أهل نجران تشبيه الفرس بربة البيت الحاذقة التي تضفي البهجة الغامرة على ساكنيه ترتيباً وطهواً وحسن معاملة. ولجأ الشاعر إلى أسلوب الكناية في رأيي باستخدامه كلمة "صيرمان" فالرجل الذي يقتات[١] الصيرم هو الذي يعتمد في طعامه على وجبة واحدة آناء الليل والنهار وكنّى بذلك للدلالة على الشجاعة ورباط الجأش.

وأورد الشاعـر كلمـة "الوثـن" والعرب تقـول: وَثَنَ بمعنـي أقام، والواثـن: المقيم الراكد. واستوثنتْ الإبل: نشأت وبُعرانها معها. وشبه غَارب فرسه بالأوثان أي الجلاميد الضخمة التي تطرح لبيان حدود البلاد. ووثّن الأرض أبان حدودها[٢]. ووصفه للفارس بكلمـة "هيبداني" يعني بها القوي المقـدام. فالكلمة قد تكون مشتقة من "الهبيد" وهو خبط الإبل الأرض بإخفافها أثناء عدوها. أو استوحي المعنى من "الهبيد" وهو الحنظل ذو المـذاق المر، ولذا فهـذا الفارس يتحاشاه المقاتلون ولاشك أنّ الشاعر أحسن الوصف لسرعـة الفرس مشبهاً ذلك بشطن الدلـو- أي الرشاء- الذي ينقطـع من الثقل ليطيح في جـوف الجـب. بل لعله يعني انطلاق أشطان الدلاء التـي ينتشلها قوم عِطاش، فكأنّه يجارى عنترة بن شداد في وصفه حصانه الأدهم والرِماح تنوشه من كل صَوب كأشطان مرسلة داخل الرس.

---

(١) لسان العرب ١٢/٣٣٩.

(٢) المرجع السابق ١٣/٤٤٢.

يـدعـون عـنـتر والـرمـاحُ كـأنـهـا أشـطـان بـئـرٍ في لـبـان الأدهـم[١]

وزخـرت القصيدة بقيـم نبيلة منها: الكـرم وحماية الذمار والـتروي والشور عند اتخاذ القرار[٢] .

٢ـ قصيدة علي بن بلال :

ترعرع الشاعر علي بن بلال في ظواهر منطقة نجران وعلق وديانها الغناء وشعابها العفـراء في نواحـي حبونا والحصينية وثـار وأبا الرخم ويدمه وغيرهـا من تلك البقاع التـي ولجها في غابر الزمان أعشى قيس وعبد يغوث الحارثي وقُس بن ساعدة الإيادي، فمجدّها هؤلاء الأدباء الألباء بأحرف من نضار في صحائف الأدب العربي[٣]. وشاعرنا علـي بن بلال جـاءت قريحته بفيض من القريض منه خريدته اليتيمـة التي برع فيها في وصـف الإبـل[٤]، ولا غرو في ذلك فهي سفن الصحـراء، قاطرات البيداء، قوت وزاد وغطـاء، ومهر عرس في السـراء، وفي الأتراح ديات للنفوس وفـداء، ومطية العربي إذا حـزب الأمر ودوي النداء، فحرىّ بها أن تشحـذ قرائح الشعراء.[٥] وهنا بسط لقطوف دانيـة انتقيتهـا من قصيـدة الشاعر على بن بـلال الشهيرة في وصف هـذه النَّعم وقد ناقشتـه في مضمونها عند زيارتي له في داره الرحيبة بمدينة الرياض، والجدير بالذكر أنّ هـذه القصيدة حـازت جوائز في مهرجانات الإبل وكذلك مـن الديوان الملكي. ومما قال في هذه القصيدة:

ومـع ظـلام الـلـيـل أدل مـن الـقـطـاء سـفـن الـصـحـاري والـذكـا بـأذهـانـهـا
وأرجـع إلي عسفي ووصفي للذلول أركـب ظـهـرهـا ثـم أعـلـمّـهـا الـدّلـول
حـتـى تجـي كـنـهـا تـقـل لي ويـش تقول خـدمـة هـنـوفـاً مـا تمـد لـسـانـهـا
أغـيـر وأطـمـر وإن حـذفـت لـهـا الخـطـام تـقـف وقـوف الـعـسـكـري حـسـب الـنـظـام

---

(١) شرح المعلقات العشر د.مفيد قميحة ٢٦٨- دار العلوم العربية – بيروت ١٩٨٩م.

(٢) هـذه القصيـدة التـي وردت في هـذا البحث نمـوذج صغير من الأشعـار النبطية عنـد أهل نجـران أو عموم بلاد السـروات. ومن يطالع هذا النوع من الأدب الشعبي خـلال القرون الثلاثة المتأخرة الماضية فإنه سيجد كماً هائلاً من الموروث التاريخي والحضاري الذي يعكس صوراً من حياة سكان هذه البلاد، ولهذا أقول إن الشعر الشعبي من مصـادر التاريـخ المهمة ، لكن لابد أن يكون المؤرخ حذراً في استخدامه مصدراً من مصادره ، لأن الشعراء يبالغون في تصوير ما يقولون ويروون. (ابن جريس).

(٣) هؤلاء الأعلام يستحقون أن يصدر عنهم مئات الصفحات ، فتوثق أشعارهم وأمجادهم التاريخية والحضارية في أرض نجران وخارجها . (ابن جريس) .

(٤) كان يجـب علـى صاحب البحث أن يدون ترجمـة لهذا الشاعر الشعبي ، ويذكر بعض إسهاماته في الحياة الأدبية والشعرية . (ابن جريس) .

(٥) هنـاك عشـرات الكتب والبحوث التي فصلت الحديث عن الإبل ، وأنواعهـا ، وأهميتها ، وما ذكر فيها من الموروث التاريخي والأدبي . (ابن جريس) .

لو من بعيد أخ أبركي تبرك اشمام ... مثل الرهينة في طلب رهانها
خلود أسد وعيونها مثل الخلاص ... وكنها ليا قامت على كهرب وماص
وإن دبّرت معاد يلحقها الرصاص ... وإن لمستها العرقوب جن اجنابها
إن أربعت تقول زاروقاً سريع ... علي طمان الموج والموج الرفيع
إلا أنها فيها من الذئب الجويع ... خوّه وباعه وحركة بيعانها
أصيل ومعدى زمان مع زمان ... بشدادها مس الحقب هو والبطان
وعذارها اللي من وراء مقطع الأذان ... واختم صريمتها تحت لحيانها
وابتد من أخلاق الصريمة بالخطام ... قوسه ثلاث أمتار من ريش النعام
شدّه ومدّه لا تهدّه يالهمام ... والوه علي كرزاً علو أمتانها
فجّا نحر حدْبا ظهر قطما خفاف ... والعنق من عنق النعامة والزراف
كن الشجر من قدمها يحذف إخلاف ... من طويها البيداء ومن ذرعانها

وإذا أمعنّا النظر في البيت الأول والثاني نلاحظ أن الشاعر يوضح فيهما بأن الإبل من نعم الله التي لا تُحصى، إذ خصها الإله بالمقدرة على عبور البراري واختراق غياهب المفاوز الجرداء الشاسعة، فلا تضل الطريق لأنها خبيرة بدروب الصحاري المُرِبكة، وخبرتها في تمييز معالم الفلاة تضاهي معرفة طائر القطا الحاذق الذي اعتاد العيش في تلك الفيافي الموحشة. ولا غرو في ذلك. وهذه الناقة النجيبة ذات ذكاء ثاقب ونباهه فقد استوعبت ما غرسه فيها الشاعر من خصال طيبة إبان ترويضها وتطبيعها وهذا ما أشار إليه بكلمة عسفي ويرمي بها إلى تلقّي الأمر بمشقة لأن العسف هو الظلم . والعسف أيضا السير في الفلوات بغير هدى. وها هو الشاعر كعب بن زهير يورد في قصيدته البردة وصفاً مشابهاً لذلك إذ يقول معبراً عن الأصقاع التي يروم الوصول إليها[1]:

لن يبلغها إلا عذافرة لها ... لها على الأين إرقال وتبغيل
من كُلّ نضاحة الذّفرى إذا عَرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب لعيني مفرد لَهِق ... إذا توقّدتَّ الحزان والمِيلُ

والشاعر هنا يصف ناقته بأنها عُذافرة أي قوية صلبه ولها مقدرة على المشقة، فإذا تعبت تخفف عدوها إلي نوعين من الانطلاق الخفيف هما: الإرقال والتبغيل وعرقها ـ وهو ما عناه بالذفرى ـ يتصبب من النقرتين اللتين خلف الأذنين كناية عن اشتداد السير. ولها مقدرة فائقة على استكشاف الطرق الوعرة التي اندرست أعلامها بل هي كالمفرد اللَّهِق أي الثور الوحشي الأبيض الذي يتصف بحدة النظر. وفي رأيي أن هذه الصورة البلاغية تفنن

(١) ديوان كعب بن زهير ٨٦.

فيها الشاعر علي بن بلال بأسلوب رائع حينما شبه ناقته بطائر القطا في استبصاره الدقيق في تمييز معالم البيئة الصحراوية المتشابهة. ولاشك أنّ ذات الجناح تتفوق على الدواب في التماس الأثر، إذ تعينها براعتها في الطيران على الاهتداء إلى طامس الأعلام والمتشعب من الطرق فلا تضل أبداً. ويضيف علي بن بلال قائلاً في وصف الذلول:

دبجة عبسها فارقاً عن كل طيب باكم شفت من رأس عمساً لا يطيب

وكلمة "عَبْس" يعني بها ما يبس من العرق خلف أذني الناقة. و"عَمْس" يريد بها اشتداد صداع الرأس. والمعنى صائب وعَمَس في اللغة اشتد وأظلم. فالعرق الذي ينضح بغزارة من ناقة الشاعر ابن بلال لا يقتصر على دلالة النشاط والاجتهاد في العدو فحسب بل هو عقار ناجع يُشتفي به من أوجاع الرأس المزمنة، وفوق ذلك فان رائحة هذا العرق طيبة أن كثيراً ما يحرص على علف ناقته بأفنان غضة النوْر والورق. ويعرب الشاعر بأنّه يجهد نفسه في تربية هذه الناقة وترويضها لتكون مطيةً مستفاداً منها وهذا ما قصده بكلمة "عسفي". فالعسف هو الشدة والظلم بل الشاعر يغالي في الوصف حينما قال أنّه إذا استنطقها لردت "بنعم" كالهنوف أي الزوجة المخلصة التي تلبّي كل ما يطلبه بعلها دون أن تنبس شفتاها بكلمة اعتراض. وعبارتي "أغير وأطمر" تدلان على أنّ هذه الذلول سلسة القياد. فالشاعر قابضٌ علي خطامها يوجهها أنّى شاء سيراً وإيخاداً وارقالاً. قال اللّغوي السيرافي في "أطمر"[١]: الطّمر: مشتق من الطمور، وهو الوثب وإنما يعني بذلك "الحركة". ويُرْدف الشاعر بأنه لو نطَق إخالة الصوت "إخ" المعهودة للإناخة ولو همساً لوطئت هذه النَاقة الأرض بكلكلها على الفور. وهذا ما يقصده بكلمة "اشمام" وهي فصيحة. وأجاد التصوير البلاغي عندما شبّه سرعة امتثالها لأمره طائعة باستجابة الرهينة المستضعفة. التي تعاني من الخور والإذلال. لما يوجهه إليها الراهن المعتدي من أوامر. ولعل الشاعر ابن بلال استوحى بعض معانيه من عنترة حين قال[٢]:

ينْبَاع مِنْ ذِفري غَضُوب جسْرة زَيّافَةٍ مثل الفَنيقِ المُكْدَمِ

ينباع نطقها الشاعر على سبيل الإشباع أي يَنْبع بمعنى يسيل العرق من ذفريها، من موضعي خروج العرق خلف الأذنين. وهي غضوب أي متحفزة وجَسْرة ذات طول وضخامة زيّافة كالسَّهم في السرعة إضافة إلى كونها مثل الفنيق المُكْدم أي الفحل القوي الجسيم. ووصف عنترة ناقته أيضا قائلاً[٣]:

---

(١)) لسان العرب ٤/٥٠٣-٥٠٤.

(٢) ديوان عنترة، ت خليل شرف الدين ٦١ – دار الهلال بيروت.

(٣) المرجع السابق ٥٩.

خَطَّارةُ غِبَّ السُّرى زَيافةٌ تَطِسُ الإكام بوخْدِ خُفٍ مِيثَمِ

خَطّارة يريد بها أنَّ هذه الناقة النجيبة تنطلق بقوائم ذات خفة وتخطر في سيرها بذنبها تلوح به وتَطس التلال وطساً بأرجلها أي تضربها ضرباً قوياً وهي تجتازها مسرعة حتى يكون لآثارها ميثماً أي كسراً على صفحة الأرض. وناقة الشاعر اليامّي مِنْ فرط سرعتها كأنها تفرُّ مذعورةً من صياح بدر من جمعٍ حاشد وهي تَهُزّ الأرض هَزّا بوقع أرجلها. وفي رأيي أنّ طرفة البكرىّ قد فاق رفيقه في وصف ناقته الشقراء ذات الظهر الصلب والوخد المتتابع فتمور قوائمها موراً في حركة دائبة لا تنقطع[١]:

صهابية العُثنون مُوجدة القرا بعيدة وَخْدِ الرّجل مَوّارة اليدِ

واسترسل الشاعر في البيت السادس من الأبيات المدرجة معجباً بهدوء طبع ناقته عندما تخلد للاستجمام في المراح، فهي حينئذ كضرغام رابض في عرينه وعيناها تشعان صُفاءً كنَخْب تمر الخلاص النقي. وكم راعه إسراعها واندفاعها: إقبالاً فهي أعجل من تيار كهربائي صاقع، وإدباراً لا يدركها عيار ناري. وقد برع الشاعر في صياغة تشبيه التمثيل لهذه الناقة العادية هبوطاً وصعوداً بين النجاد والوهاد عندما قارنها بزورق يمخر في جو عاصف تتقاذفه الأمواج العاتية في ارتفاعها وانخفاضها. وهذه الذلول تماثل في ضمورها ذئب الفلاة الذي طواه الطوى وأضناه الهزال . فإذا انتصبت نهوضاً فقوامها قوامه. ولكن طرفة بن العبد يتحفنا بصورة أخرى تأسر اللُّب، إذ شبه عيني ناقته بمرآتين صافيتين. وممّا حواه البيت التالي تشبيه للعين واستدارة عظم الحاجب حولها بنقرة ماءٍ في قنة الجبل .

وعينان كالماويتين استكنّتا[٢] بكهفي حجاجي صخرةٍ قَلْتِ موْرِد

والشاعر على بن بلال مُولع بإسباغ الأوصاف علي ناقته إذ يقول:

فجّا نَحر حدْبا ظهر قطما حِقاف والعنق من عنق النعامة والزراف

فهي لا تقلُّ نجابةً عن إبل مهرة بن حيدان الشهيرة، فنعتها بأنها واسعة النحر حدْباء الظهر قطماء الخفاف، وهذه من أبرز ميزات عتاق الإبل، علاوة علي ذلك فهي مديدة العنق كأوابد النعام والزراف التي تسابق الريح عدواً. وهذا البيت بما يحويه من موسيقى آسرة وجرس شجي فكأنّي بشاعرنا هذا يجاري صاحب البردة حينما أنشد: مفتونا بناقته الغلباء العلكوم العظيمة الشديدة ذات الوجنتين الواسعتين والدف

(١) شرح المعلقات السبع – الزوزني ٧١ – دار القلم بيروت.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني ٧٤، ديوان طرفة ٢٣، دار الكتب العلمة بيروت.

العريض. أي الجنب. والخطو الواسع وأشار إلى ذلك بالميل وفيها شدة الفحل

غلباء وجناء علكومٌ مذكرةٌ في دَفّها سعةٌ قُدامها مِيلُ [١]

ويحس علي بن بلال بأنّ ناقته من فرط سرعتها لكأنّما الشجر المنتثر إزاءه في البيداء يسايره يمنة ويسرة. والشعراء بصفة عامة كل له مذهبه فأعشى قيس وصف ناقته بقوله[٢]:

عَرَنْدسه لا ينقص السير غرْضها كأحقب بالوفراء جأبٍ مُكدَّمِ

أي هذه الناقة شديدة لا يضنيها المسير والجري فيضمر بطنها ويرتخي (غرْضُها) بطانها من جراء ذلك بل هي شديدة سريعة كالأحقب أي حمار الوحش المخطط الذي يعدو في وفراء خصيبة غليظة الأرض. فالشاعر جمع بين القوة والسرعة لكن علي بن بلال أسبغ صفات النجابة مقرونة بخفة العدو على راحلته ويسترسل الشاعر في وصفه في الأبيات التالية:

صكا الفخوذ البتُر والذيل القصير أفهق عصاها من عصاها لا تطير
أديب لا تزغم قليل ولا كثير حمر الشُنوف اتسوقها زيلانها
ويسوقها صوت المغنىّ والطبوع فزازةً فيها من الأدمي رموع
حسكاء ووافية الفقارة والكتوف سرعة قوائمها كما رقص البلوف
وان دبرت هي والنعامة شوف ساق النعامة كنه من سيقانها

فناقته صكاء بدينة مكتنزة الأفخاذ قصيرة الذيل. حسكاء أي وبرها قصير كشوك الحسك فإنْ أومأ راكبها بالعصا تطير به منطلقة عبر الأفق. وإذا أرخى الليل سدوله تتهادى تلك الناقة في اتساق مع نغمات حادي الركب الذي يشجيها. وقوائمها في تتابعها تفوق سرعة أجزاء المحرك التي تقدح الطاقة. وهي نشطة لايطالها عطب كالمركبات الحديثة التي كثيراً ما تجنح معطلة على قارعة الطريق. وختام المسك أبيات ضمنها الشاعر ذكريات رسخت في وجدانه.

راي المجرّب ما يعارضه الطبيب والصدق أمانه ما نجح من خانها
مرباعها ربعاً بعيد عن الجبل أقرب علي ريداء وقرب أم العبل
ويبرين وهي أقرب مواريد السهل وإن سنَّدت نذكر بعض قُلبانها

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ٢٠٦.
(٢) ديوان الأعشى ١٨٠ – دار بيروت ١٩٨٠م.

تـارد علـى الأطـواء وقـريـةً يـدمـة ... وتـرْد الحصْـينيّـة بـأخبـاش إقلـمـه
قـلـمـةً لـيـصـار لـلـقـيـض أكـتـمـه ... كـم داجـت المجـهـم علـي معطانها
تـارد مـشـيـنـقـه عـلَـى عـدّاً لـهـا ... وتـارد شـروراء مـشـربـاً شـفّـاً لـهـا
وجـال الـوديـعـة فـيـه حـيـضـان لـهـا ... عـزب المضـامـي شـرق مـن ضلعانها
ودمـخ ومـنْـوخ مـن حـسـاب اعـدوِدهـا ... يـامـا ويـامـا مـن قـديم اتـرودَهـا
مـوارداً كـمْ رحَّـبـت بـورُودهـا ... لـيـا قـامـت الـورقـا تجُـر ألحانـهـا
وإن أشـمـلـتْ مـنـهـا لـهـا كـمْ منهلي ... عـلـى تمـاني وِرْدهـا والمـنْـخُـلـي
وَتشـمـل إلي حـمـراء نـثـيـل وتدهلي ... مـظـامـيـاً مـتَـسـعـة حـدَّانـهـا
ولـهـا مَـوارد شـرق مـنَ حـمـراء نثيل ... شـوّالـه الـلـي مـاوردهـَا إلادلـيـل
ثـم الـعـبـيْـلـه ومـعـمـوره يـاجـزيـل ... أنـثـر عـلـيـهـمـا مـرهـشـات أمـزانـهـا
وان أشـملت مـن رُبعها الخالي قصاد ... خـريْـص ورمـاح لـهـا غـايـة مـراد
هـذي مـواردهـا الـقـديمات الجـداد ... مـنـاهـلاً لـلإبـل ولـرعـيـانـهـا
ولـهـا مـن أعـلـي نجـد لـلـرقـعـي وعَـرق ... سـهـل سـهـل ومـقـسـمـات فـرق فـرق
سُـهـول شـبـه المستطيله غـرب شـرق ... دمْـثـات وكـثـيـراً حـفـًا قـيـعـانـهـا
مـداهـلاً تجـمـع مـن الـبـل لـون لـون ... ألـوان حُـجـاجـاً لمكـه يـقـدمـون[1]

فهـذه الإبـل التي ترد هذه المداهـل والمناهل تتباين أنواعهـا وألوانها ونستنبط من زخم الوصف الذي جرى أنَّ شاعرنا علي بن بلال وناقته النجيبة توأمان تهزهما تباريح الشـوق لمواضع أثيرة إليهما. وتنتشر فيها المرابع والمصائـف والمشاتي المعهودة للرعاة، فيحسـن الشاعر ومطيته بحنين جارف دفاق لمناهلها ومراتعها وهذه البقاع منها شروره والوديعة في أقصى جنوب الربع الخالي، ودونهما المنخلي وفي حنايا الصحراء الشاسعة شوالة والعبيلة، وفي أعلاها يبرين. ويلهج لسانه بذكر مشارب وإعداد أخرى يؤمها لماماً منها: دَمخ ومنوخ ومشينقة وتدهلي وحمراء نثيل ثم ويدمه وغيرها.

٣ـ قصيدة ابن سدران :

هنالـك ثلـة من شعراء آل سـدران من يام لهم دور بارز في الساحـة الأدبية للشعر النبطـيّ ومن هؤلاء الشاعر حمد بن علي آل سدران المكنيّ بـ(أبي جبهة)[2] وهو كفيف البصـر، بيـد أنه متوقد القريحة نابة نابغ. وتوفي قبل ثلاثة عقود تقريباً. وقد استمعت إلى بعض قريضة في مجالس يام، وقد كان قوي البيان حسن الديباجة بارعاً في الوصف

(١) كـم نحـن في حاجة إلى جمـع تراثنا الأدبي والشعري واللغـوي في منطقة نجران وغيرها من بلـدان جنوب المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

(٢) الراوي الأديب: محمد حمد القحص .

الحسيّ ولعله يذكرّ سامعيه بالشاعر بشار بن برد. ومن أميز هؤلاء الشعراء أيضا يحي بـن صالح[١] بـن محمد آل سدران. وتوفي قبـل عقدين . وقد اقتطفـت أبياتاً من صدر قصيدتـه الطويلـة التي وصف في مجملهـا الجبال والتلال والقنص والسلاح والفيافي والقفـار وضمنها نفثات وُد والهة وليدة عاطفـة دفاقة، إضافة القيم والنصائح الثمينة والخِلال النبيلة التي زخر بها النّص.

قال ابن سدران يحيى بادياً عالي ويخيل ... بيـض الحجـل تـرعـي مـلاويـة
في يده فرنجيه تسيوفها غالي فيد ... لجـدّانـا مـا هـي بمشـريـة
حـدبـاً ظـهـرهـا لمـا جـل بخضـابي ... الحـنـش داعـس فـيـهـا بـثـاريـة
أنـا وحـيـد وكـن الجـمـع يـبراني ... مـا دام مـشـحـونـة وذبـالـهـا حية
يـا بـنـدقي مـالـهـا وصـف ولا مثالي ... ولا نـقـل وصـفـهـا جـمـع العـريضـة
تلفى بصيد الخلا من كل مصلالي ... وإلا الـنـابـي الحـبـر والـغـفـر وروية
يـا بـنـدقـي شبـه عَـذْرَ قلبـهـا سـالي ... تضـحـك بـغـر الـثـنـايـا للعـريضـية
ياما حلاها على املح قلبها سالي ... في ساقة البدو ترعى بنت وسميه
ياغظ الأنـهـاد حُـبِـش بـاري حـالي ... من رأسها إلى القدم بالزين محلية
لـبـوسـهـا ثـوبَ هـنـدي غـالي ... غض النهد لابسه من فوق مزوية
يا سعد منْ هولها في الحل رجالي ... يلوي عليها الحجب لي هب شتويه
مـا بـلجت بيتها تبغي التطلالي ... ولا شـهـب عـقـلـهـا جـفـر الـرويـلـية
هم خضرة القلب زينات التعزوالي ... مثل الجبا ليضرب الأرض السناوية

ينشد الشاعر يحي بن سدران معتلياً قمم الجبال، ويعكس لنا مناظر رائعة يطالعها من عل في تلك الوهاد وعلى امتداد ضفاف الوادي، وهناك أسراب طيور الحجل تلتقط ثمـار بـذور النباتات البرية. ثم عدل فجأة عن الوصـف إلى الاعتداد بنفسه وعشيرته. ففي حوزته بندقية جيدة الصنع جُلبتْ من بلاد الفرنجة، وقد غنمها أجداده في معركة حاميـة الوطيس مع العدو ولم تُشـر من السوق. وهـي حدباء بها عطفـة لونها يضرب للحمـرة كأنها جُللـت بالخضاب وتزينها نقوش وزخارف مشكلة الألـوان تبدو لرائيها كإهـاب الأفعى الرقطـاء. وإن وضع يده علي زنادها تحاشاه العـدا، إنّها سلاح فتاك لا مثيـل له ، يثير الرعب في النفس، ويحتار في وضعه "العريضية" أي الجمع الحاشد من الناس. ويستعين به الشاعر في قنص صيد الخلاء من الحبارى وغيرها من الطرائد في تلك البقاع. ومن فرط إعجابه ببندقيته شبهها بالخريدة العذراء التي تغمرها السعادة،

(١) عبد الله مهدي سدران .

فيفتر ثغرها عن أسنان براقة. تلك الفتاة الناهدة تزينها الثياب الهندية التي شُدت إلي جسمها فتظهر محاسنها الفاتنة. ما أسعد حليلها الذي تُزف إليه في ليلة شاتية. وفوق ذلك كله فهي حسناء عفيفة رزان مصونة حبيسة الخدر لا تتطلع إلى الشباب. ويردف قائلاً: إنّ النساء هن زينة الحياة بل كالمطر الذي يصيب الأرض الجرداء ليحيلها جنةً غنّاء.

نلاحظ أنَّ القصيدة تعوزها وحدة الموضوع. فالشاعر من وصفه للمناظر من تلك السفوح ينتقل للاعتزاز بسلاحه، ثم يصف المجالدة والصيد وينتهي بالغزل. فالقصيدة يغلب عليها طابع البداوة. لكن الشاعر برع في ايضاحه لطريقة امتلاك السلاح عنوة بالسيوف فالعرب تقول: تسايف القوم تسايفاً ، لذا قال الشاعر "تسيوفها"[١] أي تسايوفهم. واستخدم الشاعر المصادر الصناعية مثل "العريضية، السناوية" بالصاق الياء المشددة مع التاء المربوطة، لأنها تدل على حقيقة الشيء وما يحيط به بالإضافة لما يتطلبه الوزن الشعريّ. والعريضية وردت في النص بمعنيين: الأول لهجي محض وهو الجمع من الناس، والثاني - في رأيي الأسنان بين الثنايا والاضراس وربما وقع خطأ في الرواية أو النقل وأصل الكلام كما أرى: "الثنايا والعريضية" أي العوارض وقد وردت في قريض كعب بن زهير:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه مَنْهلٌ بالراح معلول[٢]

أجاد الشاعر في توظيف الأساليب اللغوية، ومنها النداء "يا بندقي" "يا سعد منْ هولها" وكذلك التعجب "ما حلاها" إضافة إلي التشبيهات المعبرة مثل "مشحونة بذبالها حية" فشبه ذخيرة البندقية بذبال السراح الذي يمكن أنْ يندلع منه حريق هائل. أمّا كلمة "السناوية" أصلها: السنة ولها معنى آخر غير الفترة الزمنية المعروفة إذ تعني القحط والجدب[٣] بيد أن الشاعر صاغها مصدراً صناعياً كما أسلفت . وفحوى الكلام في النص "الأرض ذات المحل والجدب" . اشتمل النص على كلمات فصيحة معبرة من ذلك: بلّج بمعنى تباعد ، وجفر المراد بها الصبي المغتلم وأيضا ذبال والحيا. حوى النص أيضا كلمات لها استعمال لهجي خاص مثل: الرويلية بمعنى الحضر والعريضية أي الجمع من الناس والتعزوالي المراد بها رمز الاعتزاز وفقاً لما قاله الراوي[٤].

---

(١) أسقط الشاعر ألف المد مراعاة للضرورة الشعرية من "تسايوفهم".

(٢) ديوان كعب بن زهير ٨٤.

(٣) لسان العرب ١٤/١٠٥.

(٤) الراوي: الشيخ محمد بن صالح بن محمد الشبيه آل سدران.(حمدون كباشي) . أشكرك يا دكتور حمدون على هذا الرصد اللغوي ، وأرجو منك أن تتوسع في دراسة مثل هذه الموضوعات الجيدة ، وبخاصة أنك مكثت سنوات كثيرة تعيش في قرى ومدن وأرياف جنوبية سعودية . ومن المؤكد أنك أدركت الثراء الحضاري والتراثي الذي يوجد في أوطان السروات الممتدة من نجران إلى الطائف . (ابن جريس) .

(ب) صور من الفن الغنائيّ :

الفن الغنائي في منطقة نجران له ألوان متعددة أبرزها "الزامل" ويؤدى بلحن طروب. وتسع حلبة الزامل أعداداً قد تفوق المائة. وتترنم ميسرة الصف مثلاً بمقاطع شعرية معبرة، وعلى الفور تتجاوب معها الميمنة في انسجام وتناغم بأهازيج شجية. ويتخلل ذلك دخول بعض المشاركين بهرولة وثبات متناسقة شاهرين خناجرهم البراقة إلى أعلى. وجرت العادة أنْ تتوجه ثلة من قُطان الحي أو أفراد العشيرة إلى مجموعة أخرى بعد أعلامها والتنسيق معها للتفاكر في بعض الشؤون . وقد يكون الهدف من ذلك ترتيب لعقد زيجة أو إكمال مراسمها. وقد يسعى أولئك القوم "لعقد منضد". والمراد بذلك رأب الصدع وبذل الجهود في التوفيق بين مَنْ وقع بينهم أمر مُشكل كالشجار أو النزاع في الأرض وغير ذلك من القضايا الاجتماعية والجنائية وعندما يتقدم الوفد معلناً وصوله بترداد مقاطع الزامل، تهب للقائه فئة المضيفين باستقبال مهيب. ويمكن أنْ يقال أيضا بأنَّ الزامل فن استهلالي رائع يعبر بكلماته الآسرة عن الحرص على وشائج التلاحم وإبانة مقاصد اللقاء. ويتضح لنا فحوى ما ذكرته آنفاً باستقراء هذا المقطع القصير الذي يحمل المعنى الكثير.

يا سلام على مَنْ نصانا عِد ماهل المطر من سماه [١]

لا دعانا الخوي عنيناله

والسامع هنا يحس في أعماقه بدفء الاحتفاء والتقدير وكثافة الترحيب التي تفوق قطرات الغيث في انهماله مدراراً من السماء . وكلمة "نصانا" معناها "رافعين الأمر" وهذا من فصيح كلام العرب، لأنّ "نصّ" معناها رفع ومِنْ ذلك منصة العروس التي تجلس عليها يوم جلوتها. واستخدم المنشد كلمة "لا" أي إذا استنجد بنا الرفيق بادرنا دون توانٍ لتلبية طلبه[٢]. والعبارة السابقة تركيب لغوي شائع في لهجة منطقة نجران. ومِمّا يتواءم في المعنى مع السرد السابق تلك الأرجوزة التي دبجها الشاعر قيصر بن هميم إذ يقول[٣]:

يا سلامي عليكم يا هل الناله يا سنام الفخر والعز والطيبه
الخوي لا دعانا ثم عنيناله نحتظي له وناقف في مواجيبه

ونلاحظ أن الشاعر حذف همزة القطع تخفيفاً في كلمة "هل" أي أهل الناله ذوي العطاء الوافي والجود والكرم. وزاد ألف مد في الفعل "نقف" فقال "ناقف" بغية تحقيق

---

(١) المنشد قدري حرمال.
(٢) القاموس المحيط . مادة "نصص" ٨١٦.
(٣) قيصر بن هميم شبكة الانترنت.

الانسجام الصوتي. وكل ما ذُكر جائز في سبك القريض للضرورة الشعرية الشائعة والسنام قمة ظهر البعير وهذا تشبيه يدل على علو المقام. وقد تحتوي "مقطوعات" الزامل على زخات من الفخر والحماس، وها هو الشاعر يعبر جازماً بأنه لا يهاب الردى عند اشتداد الضراب بالأسنة والقنا وعبارة "صكات[١] القنا" توحى باحتدام العراك لأن الصكات في اللغة معناها الضربات الموجعة ، فيقول:

يا ظروف الوقت والله ما حن بجبنا[٢] ما نخاف إلا من الرب علام الغيوب
نحتزم بالموت لي جات صكات القنا ونتواعد في قبور الفنا وقت الحروب

وفي قوله "نحتزم الموت" فالاحتزام بالشيء الالتصاق به وفحوى العبارة "إحرص علي الموت توهب لك الحياة". ويجزم الشاعر بأنّه يدافع عن الوطن دفاعاً مستميتاً مع ربعه وهم مدججين بالسلاح وعلى صهوات الخيول العِتاق:

ما نساوم بعزك يا وطنا[٣] وأنت نورك بروح الله يبات
مجدنا والفخر تاريخ أهلنا بالقنا في ظهور المسرجات

والشاعر عبد الله دكام يلتاع حنيناً إلى وادي العُرض الذي وصفه بأنه يمتد محاذياً واحة نجران الفيحاء صوب الجنوب داعياً المولى أن ينزل الغوادي والسواري من المزن على بطاحه، فقال:

يا وادي العُرض اليماني[٤] جعلك مراويح السحابِ
حِن لك على مرّ الزمانِ حبك لنا زاد وشرابِ

أمّا الرازف فهو ضرب من الرقص الشعبي أيضا، وغالباً ما يؤدى في حفلات الأعياد والزواج. ويعتمد إيقاعه على خبطات القدمين المتتالية لكل راقص من غير دفوف وطبول. فألحان الراقصين العذبة، وضربات أرجلهم المتتابعة، وحركات أجسامهم المنتظمة، تشكل في مجملها لوحة ذات أداء بارع يذهل الألباب، ولاسيما عندما يبدأ الصفان في التباعد والتقارب بطريقة تتسق مع النغمات وصدى الضربات وتتزامن مع ولوج بعض المشاركين الحلبة وهم يلوحون بالمُدى والأسياف الصقيلة ويُسمى هذا بالسعب. ومن نماذج الرازف قصيدة ترنم بها المنشدون في عدة مناسبات أرسلها إلى الأستاذ الباحث

---

(١) لسان العرب "مادة صكك" ١٠/٤٥٦-٤٥٧.
(٢) قدري حرمال.
(٣) انشدها قدري حرمال.
(٤) الشاعر عبد الله دكام، شبكة الانترنت ويسمي وادي نجران بوادي العُرض وينساب من اليفاع والنجاد ليصب في الربع الخالي.

ناصر الصقور وصاغها الأديب المبدع محمد بن مهدي آل مهذل الصقور ، فقال:

قدرة الله يمضّيها على منْ بغاه ... يعجزون الخلايق ما يردونها
كل ما قدّر المولى على العبد جاه ... والنوايا الردية لا تظنونها
من كتب له نصيب في حياته لقاه ... لكن النفس ما سارت على هونها
وأنت يا شاكي حاله على منْ لقاه ... عزْ نفسك على قوم يهينونها
تفتكرهم صديق وكلهم لك عداه ... غَايتك لا توضحها يعرفونها
صاحب ما يسرك ما يضرك رداه ... نية الخير عند اللي يحبونها
صاحب ما يعزك كيف تطرد وراه ... نفسك الزم عليك أولى بك تصونها
اترك المنهل اللي نازح عنك ماه ... شجرته فوق حاله يبست غصونها
من ورد ماه ما طغى لهايب ظماه ... يخبرك بالمناهل ناس يردونها
ليت بعض العرب يظهر على مستواه ... كل واحد مقاييسه تشوفونها
الزمان اختلف والوضع فيه اشتباه ... والخلايف تشوف الضيم بعيونها
فاعل الخير عند الله يحصّل جزاه ... للكرامة رجال يستحقونها[1]

وإذا أمعّنا النظر في الأبيات نلاحظ أنّها نّسجتْ على النسق الفني البديع المعروف بالتفويف . وفي اللغة ثوب مفوف أي مزركش تخلله خيوط بيضاء وهو من برود اليمن. والفوف: الجبة البيضاء، ولب النواة الأبيض. والتفويف في الشعر يدل على مهارة الشاعر الفائقة في سبك الكلام بألفاظ سهلة ممتعة وبأسلوب سلس المخارج عذب القوافي. ومن ألوان التفويف ما يورد فيه الشاعر تجانساً في القافية والمعنى بين شطر البيت الأول مع شطر البيت الثاني أو ما يليهما. وقد تطرق لهذا الفن شاعر المهجر الموهوب الياس فرحات عندما كان يناجي الورقاء:

يا عروس الروض يا ذات الجناح ... يا حمامه
سافري مصحوبة عند الصباح ... بالسلامه
واحملي شوق فؤادي ذي الجراح ... وهُيامه

والشاعر الموهوب محمد بن مهدي أتحفنا بأبيات هائية مفوفة تنسجم شطورها الأولى مضموناً وصوتاً "عناه، الحياه، منتهاه... الخ" . وفي الأبيات الثلاثة الأولى يقرُّ الشاعر بأن قدر المرء مسطر من الخالق ولا يرُدّ ولا يُغير مهما حاول المرء ذلك. فكأنه يجاري كعب بن زهير عندما رسخ الإيمان في وجدانه وشدّ الرحال ليقابل الرسول الكريم.

(١) يا حبذا أن نرى من طالباتنا وطلابنا في أقسام اللغة العربية وآدابها من يجمعون موروث بلاد السروات وبخاصة في اللغة والأدب ، ومن يفعل ذلك سوف يطلعنا على موروث تاريخي وحضاري جيد وجميل . (ابن جريس) .

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكمو فكل ما قدّر الرحمن مفعول

والمهذل في قوله: وأنت يا شاكي حاله على منْ لقاه: يسدي النصح يتفادى بث المعاناة وما يكدر الصفو للآخرين درءاً للشماتةَ وحرصاً على عزة النفس. ويوجهنا الشاعر إلى التمسك بالصحبة الرشيدة واصطفاء خيار الناس بمعايير دقيقة فكأنه يبصرنا بما أنشده الطغرائي:

أعْدى عدوك أدْنى منْ وثقت به فحاذر الناس وأصحبهم على دخل

ووصّى بألا يكون المرء ملحاحاً في الطلب من رفيقه حفاظاً على الكبرياء وصون الكرامة فهو يؤكد قول الآخر:

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميل[1]

وفي الختام كنّى عن الرفيق الغادر بالمنهل الذي جَفتْ حواشيه الخضراء نَضبت الدفاقة فلا يطفئ الظمأ ونبهنا إلى تقلب أحوال الزمان وحضنا على فعل الخير ولسان حاله يعبر عما قاله الحطيئة :

من يعمل المعروف لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

حوت القصيدة ألفاظا لها وقع في النفس ومنها: رداه، أي الردى وهو الهلاك والظمأ، والمفاهل. وهكذا يبدو لنا أنّ الجوهر الجمالي للقصيدة يتمثل لنا في انسجام المعاني ودلالات الألفاظ المنتقاة والجرس الموسيقي الآسر لأصوات الحروف . وأختتم برقصة الطبول التي تتألف من صفين من الراقصين. صف يقرع الدفوف والصف الآخر يحمل المرافع. وبين الصفين راقصون تتصف حركاتهم بالخفة في الأداء والمرونة والوثب في الهواء. وينعكس في هذه الرقصة الإبداع متمثلاً في انسجام الحركات الخفيفة والأصوات الشجية والطبول الداوية . ومن أراحيز هذه العَرْضة: أبيات لها قصة تردد صداها في رقصة الطبول تعبر عن الشهامة والشجاعة ورد الجميل، وفحواها أن شاباً اعتدى على رجل في ساحة السوق وجبأه بالخنجر وفرّ هارباً مستجيراً برجل يُدعى ابن مبخوت. وهبَّ رهط من ربعه لاقتفاء الأثر ولما اهتدوا لابن مبخوت استقبلهم بالترحاب والمصانعة، وأشار بطرف خفي للمستجير "فارس" بأن يثب من النافذة ويعتلي فرسه ويهرب. وقد تم ذلك. انتشى "شِله"[2] والد "فارس" لهذا الحدث وأنشد قائلاً:

ما قاله "شِله" بدأ "عنْش" وعر متقلل عالى ذراه

---

(١) دراسة فنية في شعر الشافعي – حكمت صالح ٢٧٥- عالم الكتب – بيروت.

(٢) شلة : اسم والد الشاب فارس الهارب من منزل ابن مبخوت .

يسقيك يا مرقبه سيل المطر من قنيف رأيخ خرب حصاه
أنا مادح فارس جرو الظفر لا خابت أمه ولا أفلس منْ بزاه
ما هو بخطوى قموح منتغر يشيب رأسه ودينه ما قضاه
خطره على العرْب حسكات الوبر ولا على المشرقي يقطف شباه
ونعم بابن مبخوت في الضيق استتر اللي ينجي دخيله يوم جاه دلاه
مع البايجة ثم اطمر، ثم ركبه فوق نابية القطاه
كن ذيلها يوم لقت بالدبر معصب عروس ينتشر طواه
شفت الرجاجيل دانيهم سعر مثل الحيايا تلوت بالعظاه
يا بني له البيض لي سيف البحر يا بني له البيض واثني جزاه[1]

ونلاحظ أن "شله" الذي اتخذه برجاً للمراقبة والاستطلاع داعياً المولى أن ينزل "القنيف" أي المطرَ الغزير الذي تصحبه الرياح ويخرق الحصا من فرط هطله على الذُرا الوعرة لذلك الجبل. وشبه ابنه بجرو السبع الشجاع . وحق لأمه ولمن رباه بأن يبتهج. وأعجبني تشبيه الذيل المنتفش للمهرة التي فرّ بها بعصابة العروس ذات الشعر الأثيث وأجاد وصف الحسرة التي سرت في نفوس الغرماء الذين يتربصون للفتك به إذ شبههم بالكلاب المسعورة وتارة بالحيات التي تختبئ في أشجار العظاه من سلم وسمر واستشعرت الخطر ففغرت أفواهها ذات الأنياب المرعبة. واختتم واعداً بأن يبني مجسماً هرمياً من حجر المرو الأبيض على السفح ويُرى من الهضاب والسواحل عرفاناً لابن مبخوت الذي انقذ نجله.

٤. أنماط تراثية (الآنية ، والأوعية ، والأدوات ، ووسم النعم والدواب وأنواعه) .

(أ) الآنيـــة والأوعيـــة والأدوات:

نجران واحة فيحاء تزدهر فيها أشجار النخيل الباذخة. وأهل نجران يسمون تأبير النخيل "فخاط" حيث يقوم فلاح متخصص بمزاولة هذا العمل. ويسمونه[2] "الطبّان"، إذ يضع غبار طلع ذكور النخل في أكمام الإناث لتخصيب تلك الازهار المؤنثة كي ينعقد الثمر. وخلال الاستفادة من النخل في الغذاء، فللناس مآرب أخري كثيرة فيها، فجريدها الجاف وجذوعها اليابسة يعتمد عليها السكان قديماً في الوقود ويطلقون كلمة "ضو" على النار المشتعلة. أمّا الليف الذي يُستخلص من النخل فإنّه يُنقع في الماء ليكون ليناً مرناً ويُشد حتى يستقيم اعوجاجه ثم تفُتل منها حبال مجدولة لتوثق به الدواب وتُزمّل بها الرِّحال وترُتق منها السُرر والارائك . ومن جدائل النخيل تُصنع أداة تُسمي

(١) يقصد يبني .
(٢) ناصر محمد عبد الله آل كفاية.

"المِيضـاف" تُستخدم لإبعاد الطيور من إلحـاق الضرر بسنابل الحقول. فيُرضح سعف النخيـل "بالميحمة" وهي أداة أسطوانيـة الشكل لها مقبض ومنحوتة من فرع ثخين من الـدوح وتُكسى بالقماش . والميضاف له طرفـان، ويضع المزارع حجراً في أحدهما ويلوح بقوة تجاه العصافير التي تحلق مرفرفة في الحقل لتلتقط الحب، ثم يُفك الطرف الذي يحـوي الحجـر فينفلت ذلك المقذوف صوب الطيور ليصيـب بعضها ويرهب جلّها فتفرّ مذعورة من الحقل.

والمقراح[١] أداة أخرى تؤدي الغرض عينه بيد أنّها تكون في هيئة السوط وقوامها من ليـف النخيـل يعلوه كساء رخو، وهي تشبه عقال البعير لكنها أطول منه كثيراً، ويلّوح بها الفـلاح بطريقة معينة فتصدر صوتاً كأزيـز اليعاسيب فتنفر من جراء ذلك العصافير التي تهجم علي جرن الغلال أو تلك التي تعتلي السنابل الغضة لتمتص رحيقها. والكلمة صائبـة من حيث الزنـة أي "مِفْعال" وجذرهـا قرح[٢] بمعني أحـدث جُرحاً في البدن، والقرح[٣] ألم الجراحات، وربمَا اشتق اسم الآلة منها لما تسببه من فزع للطرائد . ومن الأدوات المستخدمـة في منطقة نجـران "المخبزة" وتُصَنع من سعـف النخيل إذ ينُسج متناسقـاً ويُبطن بالقماش كيما يضع فيه الخباز العجين في هيئـة قرص ثم يّضرب به جانـب التنور المحـتر لينضج ويصير رغيفـاً. والكلمة صحيحة من حيـث الاشتقاق لأن الخَبْـز هو الضـرب باليدين والخبـزة هي الثريـدة الضخمة إلا انَّ الصـواب في الزنة الصرفية أنْ يُقال "مِخْبزة" اسماً للآلة على وزن "مفعله".

ومن خوص النخيل تُصنع أوعية أخري منها "المنْسف" ويشمل ضروباً من الأطباق مختلفـة في أحجامها، وتخصص الكبيرة منها للخبز والـذرة والصغيرة للتمر، ومنها المطْـرح ويتميز بألوانـه الزاهية المنمقة وغطائـه المحكم، وكبير الحجـم منها يسمونه "دَّرجـة" وتزيـن أسفلـه قاعدة يرتكـز عليها ويستخـدم الكبير لحفـظ الخبز محتراً والصغـير للحبوب والمكسـرات وصواب الصياغة الصرفية في الآنيـة المذكورة أن تكون علـى وزن "مفْعَلـة". أمّا المِهَفّة فهـي أداة تُنسج من السعف الثخـين مسطحة مستطيلة الشـكل ولهاَ مقبض، وأحياناً يتفنن فيهـا الصانع ويزخرفها بألوان جذابة وتُحرك يمنة ويسـرة صوب الوجه فيندفـع نحوه تيار الهواء البـارد. وورد في اللسان أنّ العرب تقول: ريـح هفهافة أي شديـدة المَرّ. ويقال هفّت[٤] الريـح تهِف هفّاً وهفيفـاً إذا سُمع صوت

(١) ناصر محمد سعيد آل كفاية ٦/٥ / ١٤٣٨هـ.
(٢) لسان العرب ٥٥٧/٢ (قرح).
(٣) المرجع السابق ٥٥٧/٢ (قرح).
(٤) لسان العرب ٣٤٨/٩ "هفف".

هبوبها. ومن هنا كان الاشتقاق والمعني عينه طرقه سيدنا علي كرّم الله وجهه في حديث له عن تفسير السكينة إذ يقول: - "هي ريح هفافة".

ومن الأوعية التي تُضفر من خوص النخيل "الجُونة" وهي وعاء مزخرف بألوان بهية وتحُفظ فيه رقائق الخبز حتى تكن طرية وسائغة للأكل، ولها غطاء مخروطي الشكل وقد وردت هذه الكلمة في المعاجم بضم أولها إذ يُقال "جُونة" وهي الوعاء الذي يُحفظ فيه الطيب في سالف العصور. وربما استُوحى اسم هذا الوعاء من لونه القاتم. والجَون من كلمات الأضداد عند العرب، فهي تعني الأسود[١] اليحمومي والأنثى جَونة، وقيل الجَوْن الأسود المشرّب بالحمرة. والجون أيضا الأحمر الخالص وكذلك الأبيض الخالص، والجونة الشمس، وقد سمعتها بضم فاء الكلمة وفتحه، وقد نعتها صاحب اللسان في قوله[٢] "سُليلة مستديرة مُغشاة أدماً تكون مع العطارين".

والرِوى بألف مقصورة كما ينطقه أهل نجران هو حبل من قطن أو صوف تشدُّ به المرأة النفساء حقوها - أي معقد الإزار - كي تضمر بطنها ولا تتهدل أنسجة الرحم وما يحيط به من البطن – عقب الإنجاب – بل تعود إلى سيرتها الأولي. والكلمة فصيحة بيد أنها ترد في اللغة بالخفض في أولها والمدّ في آخرها فأصلها "الرِواء"[٣] وهو حبلُ يُشدّ به المتاع على البعير، والجمع أروية. والعرب تقول: رويت أخي على البعير إذا شددته على ظهر البعير لئلا يسقط من غلبة النُعاس. ورويت على أهلي إذا أتيتهم بالماء. ورويُت الحديث إذا سقته وسردته واشتقاق الكلمة هذه يدخل في باب المشترك اللفظي. وفي أثناء تجوالي في عرصات السوق الشعبي في بلاد يام وجدت لفائف يُطلق عليها "الغرو" وهو عقال رفيع من صوف أو قطن أو ليف يُلف حول عصابة الرأس وغطائه بصفة عامة. وجذور الكلمة من غرا يغرو غروا أي ألصق الشيء بمادة "الغراء" بالمد أو القصر "الغرا". تفنن النجراني[٤] في تشكيل الأوعية التي تُصنع من أهُب النَّعم التي تبرز مقدرته على الابتكار والحرص على حفظ المواد من الفساد ونتن الرائحة وإتلاف الحشرات، بل وإكساب هذه المواد نكهات مستساغة للطاعمين. ومن الأوعية الشائعة الاستخدام المزادة، وسميت كذلك لزيادة سعة حجمها، إذ يخرز الصانع جلدين ثم يزيدهما اتساعاً بأنْ يضيف قطعة أخري، والمزادة قطعة واسعة من الأدم يُجنى فيها نخب التمر. وفي بقاع أخرى تخصص لتبريد الماء خاصة آناء الليل، ويطلق على الماء

---

(١) تهذيب اللغة/ لأبي منصور الأزهري ١٣٩/٦ (جون) .
(٢) لسان العرب ١٠٣/١٣ (جون).
(٣) القاموس المحيط ١٦٦٥ "روى".
(٤) يقول ابن سيده في المخصص ٢١٨/١١"ومن عندهم – أي أهل نجران – يُجلب الأدم والنعال المشعرة والانطاع"، ونجران مثل صعده وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن.

القراح الذي تحويه عندما ينبلج الإصباح "الماء البيوت". وظاهر الأمر أن هذا الظرف كان يُستخدم في الحِلّ والترحال وقد ذكره امرؤ القيس حينما أنشد[١]

كأنّهما مزادة مُتعجلٍ فريّان لما تسلقا بدِهان

وأوردها أيضا لبيد العامريّ في قريضه[٢]:

جاءت على قتب وعِدْلِ مزادة وأرحتموها من علاج الأيصر

أمّا الزِنّة الصرفية لمزادة فهي مَفْعَلة من تزوّد الزاد. والزاد طعام السفر والحضر. ومن أوعية الأدم الضخمة، الزِمالة وتعلق على إحدى صفحتي البعير عند الارتحال من موقع إلى آخر. وبعض أهل نجران يسمونها "العيبة" عياب ويحفظ فيها المتاع والآنية والبرود والغلال والأطعمة من تمر وبر وغيره. والكلمة في رأيي اشتقت من زمّل، بمعنى لفّ وفي الذكر الحكيم (يَا أَيُّهَا الْمزمِّل)[٣] إشارة إلى النبي ﷺ – عندما التفّ بدثاره بُعيد نزول الوحي عليه[٤]، وسمي هذا الوعاء زِمالة لأنه يُعطف ويُلف ثم يُخرز وربما صيغت هذه الكلمة من الزِّمل بالكسر وهو الحمل. بيد أنّ أهل العراق يسمونها "مزْملة" ويستغلونها في تبريد الماء خاصة وسمعت البعض يطلق على الزمالة كلمة "ظرف". وإذا دققنا النظر في كلمة "عِياب" نجد أنّ العرب تكنّى بها الصدور والقلوب لأنها تحفظ كثيراً من الأسرار وكذلك الأمور المعيبة التي لا يروم المرء شيوعها حتى لا يوصم بها فسميت الصدور عياباً من باب التشبيه لأن العياب تحفظ أخص متاع المرء من برود وعطور وقلانس إذا كان في حلّ أو سفر. وقد وردت كلمة "العياب" في شعر امرئ[٥] القيس وقد شبه انتثار الغثاء الذي يحمله سيل الوادي الجارف عندما يضعف تياره لدى الصحراء بالبضائع التي بسطها أرضاً التاجر اليماني من عيابه الممتلئة توطئة للبيع والمقايضة.

وألقى بصحراء الغبيط بعاعهُ نُزول اليماني ذي العِياب المُحمل

والكلمة أيضا وردت في شعر الصحابي حسان بن[٦] ثابت الأنصاري في قدحه لكفار قريش:-

بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حُمْرَ العِيَابِ

(١) ديوان امرؤ القيس ٥٠٧.
(٢) ديوان لبيد العامري ٢٢٧.
(٣)) سورة المزمل الآية ١.
(٤) لسان العرب ٣١١/١١ "زمل".
(٥)) ديوان امرئ القيس – ج١/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٦) شرح ديوان حسان بن ثابت ٦٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٩٩٤م.

والعُصَم من الأوعية الأثيرة لدى قُطّان بادية وريف منطقة نجران، ويزدان بسيور في جوانبه تتسدل في تناسق يضفي عليه مسحة جمالية وهذا الوعاء تطلق العرب عليه اسم "الظبية" لأنه يصنع من جلد الظباء بل بعضها يُخرز ويعالج بدون إزالة الشعر وتتفاوت أحجام الظبية وفقاً لسعة مساحة الإهاب وترد صيغة التصغير منها على وزن فعيلة أي "ظُبيّة" والجمع منها "ظباء". والظبية بصفة عامة يختزن فيها الطيب والحلى والنقود ونفائس الحرز. والنوع النجراني منها أي العُصم، لاحظت أنّه يخصص لحفظ الطحين وجريش الحبوب والتمر بأنواعه ويُلف أعلاه بسير جلد أو سبب رفيع والكلمة مشتقة من "العِصمة" وهي الحفظ أياً كان نوعه ويستبين لنا هذا المعنى في الذكر الحكيم من حوار نبي الله نوح عليه السلام مع ابنه الذي سِفه رأيه وقال: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...)[١].

والجدير بالذكر أنّ هنالك وعاءً يماثل العُصم لكنه أكبر حجماً وسعة ومن غير أهداب جلدية يُسمي القُطف توضع فيه عدة حوائج كالقهوة والهيل والزنجبيل والتمر والزبيب وقلية البن والقديد، وربما سُمي هذا الوعاء كذلك لأن القُطف وما يماثلها من الأطعمة الجافة تُحفظ فيه، والقُطف جمع قطيفة وهي طعام شهي يُطهى من الدقيق والمرق. والمهجان في بلاد نجران يعنون به جلد مستدير ترُص فوقه أطباق المائدة ويتحلق القوم حوله لتناول الطعام. وزنه الكلمة "مفعال" فصيحة غير أني لم أجد الكلمة أصلاً في الاشتقاق يتعلق بالمعنى بل ما يرادفها عندَ جُلّ العرب كلمة "سُفرة" وشاع استخدامها في العصر الأموي[٢]، وتتميز بشكلها الدائري وتُنظم في طرفها حلقة دائرية ، أي معصم لتعليقها عند الفراغ. والسُّفرة في الأصل هي طعام المسافر وبه سُمّى ذلك الجلد الذي يُبسط ليجلس حوله الأضياف وأفراد الأسرة وفي[٣] حديث عائشة صنعنا لرسول الله – صلي الله عليه وسلم- ولأبي بكر سفرة في جراب أي طعاماً لما هاجر هو وأبوبكر. وهكذا نقل اسم طعام الزاد إلى ذلك الوعاء. وبناءً على هذا الطرح يتضح لنا أن لفظة "مهجان" من قبيل الاستعمال اللهجي المحض ومثلها "الشّت" وهو وعاء من السعف له علاقة وتودع فيه أشياء شتى أي متفرقة كالبخور والمفاتيح والحِلى والكلمة في رأيي اشتقت من الشتيت[٤] أي المتفرق.

والمَغرَب من الأوعية الجلدية التي تُخرز من جلود الاغنام والعجول أحيانا. وقد ألفيت أنواعاً منه تختلف في أحجامها معلقة للعرض على جدران المتاجر الشعبية

(١) سورة هود الآية ٤٣.

(٢) الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي- إلهام أحمد البابطين ٢٨٦- ط١ – الرياض ١٩٩٨م.

(٣) كتاب الدارة ج٨- أسماء الأوعية الجلدية – ص١٠٥- د. محمد عبد الرحمن الثنيان.

(٤) لسان العرب ٤٨/٢ مادة (شتت).

بمنطقة "أبي السعود النجرانية" وُبسط في الأرض مُترعاً بالماء أو يُعلق على المشاجب أو الأفنان فيرشح الماء من ثقوبه الدقيقة شَبِماً بارداً طوال الوقت، ويُستفاد منه في الحلّ والترحال والمراعي والحقول وغيرها من مواقع العمل ويطلق عليه أهل[١] نجران أيضا "المَشراب" على زنة مفعال. والغَرْب في[٢] اللّغة انهمال الدمع من العين ومِنْ ثم أطلقته العرب على الدلو العظيمة التي تُتخذ من جلد الثور[٣] وإذا فُتحت الراء أي الغرب صار المعنى:-الماء السائل إثْر انحداره بين البئر والحوض.

وإذا بسطنا القول في الأزياء التقليدية فمن أشهر الثياب النجرانية المزندة المذيّل. وكلاهما من الطراز القديم. والمزندة ثوب قطني يُلبس تحت المذيّل. وهو أضيق منه قليلاً. والمزند عند[٤] العرب القدماء ثوب قليل العرض. أمّا المذيّل فهو كساء طويل سابل الأكمام وتفصيله يريح مِنْ يرتديه فلا يقيد حركة الساعدين واليدين بل يساعد على تهوية البدن، وتكتمل زينة الرجل بوضع عصابة الرأس والتمنطق بالخنجر ذي الغلاف المزين. واللون الأبيض هو الأكثر شيوعاً في الملبوسات الرجالية، ولا غرو في ذلك، فيروى أن الرسول-صلي الله عليه وسلم-قال: "البسوا[٥] من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم. استحسنه الإمام الشافعي[٦] إذ يقول: "وأحبُّ ما يلبس إليّ البياض". وقد برع قاطنو إقليم نجران من سالف الزمان في نسج الثياب والبرود بأنواعها المختلفة. ويروي[٧] يحي بن بكير عن مالك بن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك: "كنت أمشي مع النبي وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية وفي رواية[٨] أنّ النبي-صلي الله عليه وسلم-كُفِن في ريطتين وبرد نجراني.

وأزياء النساء تتألف من المكمم والخيط. وهنالك غطاء أسود تلفه المرأة حول رأسها يسمي القطابة ومن أميز مصممي أزياء النساء في نجران منذ خمسة عقود خَلَتْ، الخياط محمد[٩] عبد الله بن سروان في سوق بلدة نجران القديمة. ويؤم متجره جمهور غفير لإعداد ملابس الختان للصبية. وذكر الباحث الأستاذ صالح

---

(١) سعيد فرج آل بشر.
(٢) لسان العرب ١/٦٣٨-٦٣٩-٦٤٢.
(٣) المرجع السابق ١/٦٣٨-٦٣٩-٦٤٢.
(٤) لسان العرب ٣/١٩٦ زند.
(٥) ابن سعد ١-٢/١٤.
(٦) مسند الشافعي ١/٢٠٧- دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ.
(٧) صحيح البخاري، لباس ١٨، ادب ٦٨ محمد بن إسماعيل البخاري – دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
(٨) صبح الاعشى للقلقشندي ٩/١١٤- دار الكتب العلمية – بيروت.
(٩) محمد عبد الله بن سروان – سوق نجران ابا السعود.

آل زمانان بأن بن سروان ذاع صيته حتى أُطلِق على نماذج أعماله رفوه "[١] دقة بن سروان". ويهتم الناس قديماً بتفصيل ثياب الختان عند هذا الخياط الماهر، وتسمى الحفلات التي تقام لهذه المناسبة[٢] "الهود" من هاد وربما يقصد بها تاب ورجع أي طَهُر بعد الختان، وثوب العروس يتألف في مجمله من "طاقة وأدوالها" ويحتوي على الثوب المصبوغ والأدوال. وتخاط من قماش يُسمي[٣] "أبو غريبه" ويطلق عليه أيضا "البز السواحلي" وذكر لي أيضا عضو لجان التراث ناصر[٤] آل كفاية أن حُلة الزفاف قد تتسم بالبساطة واليسر أحيانا فتتكون من قطعتين، إحداهما بيضاء وترتدي صِداراً والأخرى سوداء وتُلبس ازاراً ويزين الخصر حزام من جلد الغنم. وتعتجر العروس بخرقة في الرأس يعلوها الخيط الذي يُنسج من الحرير وفي أطرافه يتدلى حلق فضّي بعدد أصابع اليد تقريباً. وتكتمل زينة العروس بالحلي كالمرداع والأساور وقلائد الجيد مثل "اللبة" و"اللازم" و"السمط" الذي تتدلى أهداجه بأشكال مختلفة. ومهنة غزْل الخيوط كانت في الماضي مقصورة على النساء وتجُلب الأصباغ المختلفة من بلاد اليمن والهند. ويشترك الرجال والنساء في النسج على النول[٥].

(ب) وسم النَّعم والدواب وأنواعه :

في القرن العشرين- عصر الطفرة الحضارية- ابتكر الإنسان وسائل مطوّرة وفعالة لمتابعة الحيوانات والطيور الآبدة والأليفة. ومن ذلك الشفرة الإلكترونية التي تغرز في الجسد، وعبرها يمكن التعرف على الحالة الصحية للحيوان أو الطائر ورصْد سلوكه في الحركة والسكون وتحديد موقعه أينما ولّى وحلّ. ولكن هنالك طرق تقليدية درج أسلافنا على اتباعها لتمييز ممتلكاتهم من النَّعم والدواب للتعرف عليها إذا فقدت أو سطا عليها اللصوص. والوسم مظهر تراثي اشتهرت به الجزيرة العربية يعين على إثبات الملكية. والتعرّف علي البهائم التائهة أو تلك التي امتدت إليها أيدي السُّراق. وبالرغم من قلة الباحثين في هذا المجال إلا أنّ بعضهم أبان أنّ وسومّ[٦] الإبل مستوحاة من غابر الزمان من الأبجديات العربية القديمة الثمودية والصفوية والنبطية واللحيانية. وأنا أرجح هذا المنحى، لأننا إذا ركزنا في الوسوم ملياً، نستشف أنها تشابه لدرجة كبيرة

---

(١) الأستاذ صالح عبد الله آل زمانان.

(٢) لسان العرب مادة "هود".

(٣) الأستاذ صالح عبد الله آل زمانان.

(٤) يا دكتور حمدون ما ذكرته نماذج قليلة من الصناعات والحرف التقليدية التي عرفها ومارسها النجرانيون خلال عصور التاريخ. وموضوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية في هذه البلاد جديرة أن تدرس في عشرات الكتب والرسائل العلمية منذ عصر ما قبل الإسلام وعبر عصور الإسلام المختلفة . ونأمل أن يلتفت الباحثون والمؤرخون لهذه الموضوعات الحضارية فيدرسونها في بحوث علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٥) لسان العرب مادة "هود".

(٦) الباحث وليد سعيد العطيشان- بحث بعنوان "ارفعوا رؤوسكم" تقديم د. عيد اليحيا.

من النقوش الأثرية التي خلّفها الأقدمون على صفحات الصخور وجدران البنيان الراسخ. ورموز الوسم عند أولئك القوم بمثابة الحروف التي تُدمج مع الأرقام لتؤلّف علامات فارقة دقيقة كالتي تُسجل على لوحات المركبات في عصرنا هذا ورموز الوسم كأنّما اصطلحت عليها القبائل والبطون من قديم الزمان ثم شاعت في البلاد العربية قاطنة شرقاً وغرباً بعد انتشار الإسلام ووسم العوامرة[١] والعوازم وجّلّ وسوم بني عطية في الجزيرة العربية مطابقة تماماً لوسم بطونها التي هاجرتْ لبلاد السودان. ووجدت أنا أيضا خلال جولاتي الميدانية للبحث والاستقصاء أن وسم قبيلة الحمر في بادية غرب السودان لا يختلف عن[٢] وسم قبيلتي بني ثور والخمشان بالجزيرة العربية وكذلك كل بدو السودان يسمون أنعامهم برموز الوسم العربية المعهودة. ومن هذه القبائل على سبيل المثال: كنانة والمناصير والحويطات والحوازمة والجبارات والقواسمة والرشايدة وبني كاهل والوايلية.

والوسم أثر الكَي والجمع وسوم وتقول العرب وسمه يسمه وسماً [٣]. والمِيَسم بكسر الميم المكواة أي الحديدة التي يكوى بها ، أصل الكلمة مِوْسم فقلبت الواو ياء لكسرة الميم والسمة كل علامة توضع على الدابة بالكي أو بكل ما يختضب به. وسمعت بعض الظرفاء في البادية يقول: الوسم رسم قلمه المحْور[٤] ودواته المِجْمر[٥]. والعرب فصحاء بلغاء فسموا أول عين المطر "الوسمي" لأن الأرض تنصو أديمها الأغبر وتتحلى ببجاد سندسي. وبحكم نشأتي في ربوع البادية لاحظت أنّ الرعاة يسمون الإبل ضيفاً عند بزوغ نجم سهيل، ويقول بدو السودان "سهيل ما يعقبها سيل" لأن تلك الفترة تعين على شفاء الجروح ولا تكون عرضة للالتهاب وقيل[٦] في الأمثال العامية: تتغير الرسوم ولا تتغير الوسوم أي تندرس آثار الآطام والدور وتظل الوسوم ذات مدلولٍ عالقِ بالأذهان على مدة الأزمان.

وهذه بعض مفردات الوسوم ورموزها الشهيرة لدى القبائل العربية **(١) الكلوب**[٧]: حديدة طويلة لها خطاف حاد ويبدو انه يرمز للقوة. **(٢) الباكورة**[٨]: عصا لها رأس مقوس على هيئة نصف دائرة تُدمغ كوسم صغير في العنق. **(٣) المِحجان**[٩]: وينطقها البعض

(١) شبكة الانترنت: وسوم الإبل للقبائل المذكورة.
(٢) شبكة الانترنت: (www.mzayan.com)
(٣) لسان العرب ١٢/٦٣٦.
(٤) صالح الصنبوح- الشبهان.
(٥) المحور: حديدة الكي، والمجمر: وعاء الجمر المتقد.
(٦) عبد الله آل مستنير.
(٧) رموز الوسوم عند العرب، راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ شبكة الانترنت.
(٨) مجلة العرب ص٣/ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
(٩) لسان العرب ١٣/١٠٨ (حجن).

المحجـن أو المحجل وهو عصا لها مقبضان طويل وقصير في هيئة رأس طائر أو منجل. (٤) **المطـرق**[١]: ويسميه البعض السوط. والمطرق هو ما تطرق به الدابة لتجد في السير والمطرق دائمـاً يكون أقصر من العمـود لأن العمود طويل ويكون على الفخـذ. (٥) **الشاهد**[٢]: وسم يضاف للوسم الرئيسي داخل القبيلة وسمي كذلك لأنه يشهد للمالك بأحقية تملك النَّعم.

(٦) **السطـاع**[٣]: همـا عمود بيت الشعر وهو سمة في العنـق بالطول والهلال وسم مشهـور في الميمنة أو في الميسرة ويوحي بالسمو والظفر. (٧) **المخباط**[٤]: وسم تنطبق صفتـه على المطرق بيد أنه يُوضع بالعرض على الوجه والفخذ. (٨) **الخُطاف**: قضيب حديديّ معقوف في نهايته يشبه مخالب السبع ويرمز للشجاعة والقوة.

(٩) **الحلقة**[٥]: دائـرة مغلقـة ترسـم على الخـد والفخـذ والعضـد والعنق. (١٠) **البُرثـن**[٦]: والبعض يسميه رجل الطائر أو الوضراء وهو على هيئة مطرق عمودي تتفرع من نهايته ثلاثة خطوط متساوية فكأنّه مخلب الصقر ومن أسماء سيوف العرب الشهيرة "برثـن الأسد"[٧]، ويدل علي الشجاعة ويعتقد البعض أنّ هذا الوسم يرمز إلى الشوك. (١١) **الريشيـة**: حلقة لها مطرقان صغيران متضادان في الاتجاه ومتساويان في الطول. (١٢) **المغزل**: مطرقان متعامدان يُرسمان في الفخذ والرقبة. (١٣) **الباب**: وسم يرسم على شكل مستطيل مكتمل أو ينقص منه. (١٤) **الرقمتان**: نقطتان متقاربتان.

(ج) نماذج من ضروب الوسم :

هذه نماذج من[٨] ضروب الوسم لبعض الفروع والبطون والأفخاذ القبلية في منطقة نجـران. (١) **وسم آل خـريم**: يتألف من الحلقة وإزاؤها المطرق في الفخذ الأيمن. (٢) **وسـم آل كليـب**: مطرق رأسـي وفي جانبيه رقمتان. ويكون في وجـه المطية على الجانب الأيسر. (٣) **وسم آل ذيبان**: مطرق ورقمه على الخد. (٤) **وسم آل دويس**: علامة زائد وتحتهـا الرقمة على الرقبة أي العنق على الجانب الأيمن. (٥) **وسم آل محامض**: حلقة ومطرق في التريبـة على الجانب الأيسر للمطية. (٦) **وسم آل ناشر**: يرسمون على الفخذ الأيمن هلالاً

---

(١) المرجع السابق ١٠/٢١٥-٢١٦ (طرق).
(٢) رموز الوسوم عند العرب- راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ شبكة الانترنت.
(٣) الاشتقاق: ابن دريد محمد بن الحسن ص٢٠- ت: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي.
(٤) أخلاق الرولة وعاداتهم ص١٥٣- موزل – ترجمة محمد السديس- مكتبة التوبة الرياض – ١٤١٧هـ.
(٥) تاج العروس للزبيدي ٦/٣١٩-٣٢٢ (حلق).
(٦) المرجع السابق ٩/١٣٦ (برثن).
(٧) رموز الوسوم عند العرب – راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ – شبكة الاترنت.
(٨) شارك في توثيق أنواع الوسم: مبارك محمد آل شهي، سالم عبد الله آل حيدر، هامل علي الشيخ آل حارث ، الأستاذ عبد الله آل مستنير.

يتجه إلى أسفل وبجانبه الأيسر مطرق وكلاهما عموديان. (٧) **وسم آل شهي:** كلوب رأسي ينزل تحت العين من الجانب الأيسر للمطية. (٨) **وسم آل حارث:** مطرقان بينهما كلوب وكلها تكون في وضع أفقي والكلوب منفتح إلى أعلا من الجانب الأيسر. (٩) **وسم آل سالم:** أربع رقمات إذا وصلناها ينتج منها شكل المعين. (١٠) **وسم آل فهاد:** حلقة ومطرق بينهما رقمه وعند إمعان النظر في وسمهم نجده يطابق الرقم ١٠٥. (١١) **وسم آل دمنان الصقور:** مطرق قصير متساوي الساقين كالهلال يتجه مفتوحاً ناحية اليمين. (١٢) **وسم آل سلامة من قبيلة وايلة:** يتألف من رقمتين متجاورتين في عنق المطية وذكر لي أحد أفراد هذه القبيلة بأنهم يرسمون مطرق على الجانب الأيسر للمطية. وبطن آل مفلح من هؤلاء يسمون المطية برسم حرف (H) الانجليزي على الفخذ الأيسر أي "السلم". أما آل شريه فلديهم التطبيق السابق لآل المحامض ولكن يوضع على الجانب الأيمن. ولكن أحد الرعاة أفادني خلاف ذلك إذ أكدَ لي بأنّ بعض آل شريه يسمون المطايا بمطرق أفقي على جانبيه رقمتان على الجانب الأيسر. (١٣) **وسم آل سليم:** كلوب ورقمه على الجانب الأيسر منه. والكلوب رأسي متجه إلي اليسار. (١٤) **وسم آل حسن بن عيسي:** كلوب رأسي على الفخذ الأيسر وتعلوه رقمه. (١٥) **وسم آل منصور:** يتألف من رقمه على الرقبة يليها مباشرة هلال يتجه إلى أسفل يمتد على جانب واحد من الرقبة. (١٦) **وسم آل حيدر:** يتألف من كلوب يواجه مطرق على الفخذ الأيسر وكلاهما في وضع رأسي. (١٧) **وسم آل مشهور بن ضيغم:** مغزل على الجانب الأيمن من العنق.

٥. بعض النتائج والتوصيات :

١. أبان البحث شيوع حذف الهمزة من أصوات الحلق لدى قبيلة يام وكثير من قبائل جنوب المملكة مثل (حَمَرَ وعَوَرَ) وذلك بقصد اليسر والتخفيف والاستساغة الصوتية. أما الحذف في بلحرث وبلعنبر أي بني الحارث وبني العنبر فيعزي ذلك لأثر الحياة البدوية آنذاك التي تجنح إلى السرعة في التحدث مما يؤدي لتساقط الحروف ليخف اللفظ.

٢. أثبت البحث أن ظاهرة الكشكشة مازالت تلهج بها ألسنة قاطني نجران وكثير من بدو وحضر جنوب المملكة وقد كانت سائدة في العصور السابقة لدى قبائل ربيعة ومضر وأسد وبكر.

٣. أوضح البحث أن إبدال قبيلة يام حرف الفاء ثاءً في بعض الكلمات كقولهم ثم في فم لأن الثاء صوت لثوي أسناني رخو مهموس مرقق أوضح في السمع وأيسر في الأداء النطقي ولذلك نظائره في كلام العرب إذ قالوا في: جدف: جدث.

٤. حوى البحث عبارات بليغة وكلمات فصيحة تزخر بها لهجة إقليم نجران وقد كانت سائدة في عصور ازدهار اللغة مثل (فنيق، وضم، وقروم) بيد أن بعض الكلمات قد تطور دلالتها مثل (درب، بزا).

٥. رصد البحث اندثار الكثير من مظاهر لهجة (بني الحارث بن كعب) القديمة ولا يوجد منها إلا نُثار في لهجة يام مثل "صيص" و"عيبة" لكن اللّهجة النجرانية اشتملت على صيغ لغوية عديدة لقبائل تميم وعامر وقيس عيلان وأزد شنوءه.

٦. تناول البحث بعض نماذج الشعر النبطي في منطقة نجران واستنبط بأنها تتسم بحسن السبك وسلاسة الأسلوب والجرس الموسيقي الآسر وسعة الخيال. فبالمقارنة فهو يضاهي خيال شعراء العصر الجاهلي في التصوير الدقيق والوصف المعبر والتفنن في أساليب المجاز مِمّا يضفي على القريض رونقاً يسلب الألباب. وقد حازت بعض هذه القصائد على الإعجاب بل قصب السبق والتكريم في المحافل الأدبية على مستوي المملكة.

٧. وثق البحث كثيراً من الأوعية الجلدية والآنية الخزفية والحجرية وتلك التي تُنسج من الخوص والسعف إضافة إلى بعض أنواع الازياء التي مازالت تزين بها جُدر المنازل أو تحفظ في المتاحف.

٨. تطرّق البحث إلى الوسم ذلك الموروث القبلي ذو العلامات الفارقة التي تُثبت الملكية للعشائر . وتأكد للباحث بأن مفردات الوسم تؤلف في مجملها رموزاً ذات دلالات عميقة مستوحاة من الأبجديات في أطوارها الأولى.

٩. أبان البحث صواب تسمية أهل نجران للجهات بالنظر إلى موقع بلادهم ومراعاة لتضاريس أرضهم ومن سَداد القول أن يطلق على الشرق حادر وعلى الغرب "ساند" وفقاً لطبيعة الأرض في تلك النواحي.

١٠. أقول إن بلاد نجران مازالت بكراً بموروثها التاريخي والحضاري وهي تستحق أن تدرس في شتى المجالات العلمية والبحثية .

٦. المصادر والمراجع:

١. **معجم القبائل العربية**، عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة –بيروت.
٢. **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية** – د.محمد سالم محيسن – مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦م.
٣. **لهجة البدو في الساحل الشمالي** – د. عبد العزيز مطر – القاهرة.
٤. **اللهجات العربية في التراث**- أحمد علم الدين الجندي – الدار العربية للكتاب – ليبيا.
٥. **المنهج الصوتي للبنية العربية** – د.عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة – بيروت.

٦. **في اللهجات العربية** – د. إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٩٢م-الطبعة الخامسة.
٧. **القاموس المحيط** – الفيروز ابادي – دار الرسالة، بيروت ١٩٨٧م.
٨. **معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية**- د. عبد المنعم سيد عبد العال-مكتبة الخانجي – القاهرة.
٩. **تاج العروس**، للزبيدي- دار مكتبة الحياة – بيروت.
١٠. **الصحاح**، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.
١١. **ديوان الفرزدق** ، دار الجيل بيروت.
١٢. **ديوان امرئ القيس**، دار بيروت ١٩٧٢م.
١٣. **ديوان كعب بن زهير**، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.
١٤. **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، المنصورة – الطبعة السابعة.
١٥. **التصريح علي التوضيح للأزهري**، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. **معجم لغات القبائل والأمصار**، د.جميل سعيد داود سلوم، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨م.
١٧. **النوادر في اللغة**، لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
١٨. **ديوان أل مهذل الصقور**- محمد بن مهدي الصقور، نجران ١٤٢٨هـ، الطبعة الثانية.
١٩. **ديوان عنترة**، دار الهلال، بيروت.
٢٠. **شرح المعلقات السبع**، للزوزني، دار القلم، بيروت.
٢١. **ديوان طرفه بن العبد**، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. **ديوان الأعشي**، دار بيروت ١٩٨٠م.
٢٣. **تهذيب اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م .
٢٤. **المخصص**، ابن سيدة، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
٢٥. **الأمالي** لأبي علي القالي- دار الأفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٠م.
٢٦. **معجم القراءات** – د .عبد اللطيف الخطيب- دار سعد الدين – بدمشق ، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م.
٢٧. **الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي**، الهام أحمد بابطين – الطبعة الأولي- الرياض ١٩٩٨م.
٢٨. **المعلقات العشر**- مفيد قميحه- دار العلوم العربية – بيروت ١٩٨٩م.
٢٩. **مسند الشافعي**- محمد بن إدريس الشافعي- دار الكتب العلمية-بيروت ١٤٠٠هـ .
٣٠. **صحيح البخاري**- محمد بن إسماعيل البخاري- دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
٣١. **صُبح الأعشي**: أحمد بن علي القلقشندي- دار الكتب العلمية بيروت.

٣٢. **شرح ديوان حسان بن ثابت-** دار الكتب العلمية. بيروت.
٣٣. **الطبقات الكبرى**- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي- دار صادر –بيروت.
٣٤. **شرح قصيدة كعب بن زهير**-جمال الدين بن هشام – مؤسسة علوم القران- دمشق – الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
٣٥. **أخلاق الرولة وعاداتهم** – مورل- ترجمة محمد السديس- مكتبة التوبة الرياض ١٤١٧هـ.
٣٦. **الاشتقاق بن دريد**- تحقيق عبد السلام هارون –مكتبة الخانجي .
٣٧. **الكتاب** – سيبويه- ت: عبد السلام هارون -عالم الكتب – بيروت.
٣٨. **سر صناعة الإعراب**-أبو الفتح عثمان ابن جنيّ-القاهرة ١٩٥٤م- .
٣٩. **دراسة فنية في شعر الشافعي** – حكمت صالح – عالم الكتب بيروت.
٤٠. **نجران (ق١ - ق٤هـ/ق٧ - ١٠م)** (الجزء الأول) (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) .

خامساً: البناء الديني لمنطقة نجران منذ العصر الجاهلي المتأخر وحتى نهاية صدر الإسلام: من سقوط مملكة حمير وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٥-٦٦١م). بقلم . د. عوض بن عبدالله بن ناحي[(١)]

م	الموضوع	الصفحة
١.	تقديم	١٧٣
٢.	الملخص العام للرسالة	١٧٤
٣.	وفي الختام	١٨٧

١. تقديم :

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة البناء الديني لمنطقة نجران خلال المرحلة التي تلت سقوط مملكة حِمير، حوالي (٥٢٥م) ، وحتى نهاية صدر الإسلام، (٤٠هـ/٦٦١م). وقد حرص كاتب هذه السطور على ترجمة مستخلص هذه الأطروحة إلى العربية، وتقديمه في المؤتمر السنوي لجمعية التاريخ والآثار لما يحمله من تساؤلات ذات أهمية بالغة ونتائج مثيرة ستساهم - بحول الله - في تصحيح كثير من المفاهيم التاريخية حول تاريخ منطقة نجران بشكل خاص، وجنوبي جزيرة العرب عامة. يُضاف إلى ما سبق نوعية المصادر الأولية (سريانية ونقوش) التي اعتمد عليها الباحث في تقديم دراسته هذه، التي ساعدت في تصحيح كثير من القضايا التاريخية للمنطقة. وفي السطور التالية تجد عرضاً موجزاً لمحتوى الأطروحة المكونة من مقدمة، وستة فصول رئيسية،

(١) للمزيد عن الدكتور عوض بن ناحي انظر الصفحات الأولى من هذا القسم . (ابن جريس) .